ηøωü‡ǩt ηØĂtƐÆŽæyǩt ηæƐhutƶϱǩt ηæƵÙHuŽϱǩt

ÆŽϱüǩt ƤƮωǩtƿ Æǩkūǩt ϱØϱüɑǩt ɲƵtƐƿ

-ΘƵKØσ – ŽƿyϱƱ ǰλt ηüϱKΣ

ηøÜKŽɑƩètƿ ηØDZKŠDZât ϱÙϱüǩt ηØϱg

ηØDZKŠDZât ϱÙϱüǩt :ϱŠā

uæƵKɑǩt ǓƐə

:øλ ηϱÑ5ÙŽǩt ÆϱÊ5ât ƙƐüŽǩt uæƵKσ :DŽdžUσ Ɛɑ5KŽǩt ɲYʻKHuII ǨØDžk ηϱyÆϱ ɲƐgƶϱ

موقف السلطة السياسية والهيئة العلمية من علم الكلام في المغرب الإسلامي من القرن الثالث إلى السادس هجري

:ƵKɑ5àt ÙtƐIIƒ

yŽƮϱ ÆϱØϱÜ

:ƟKωǨƙăǩt YtyÜƒ

ηDzæƐωDž ŽKŽfƵ

ηŽØϱ5 ǰϱÑϱ ǰλ

ηDzÙŽØϱ ÙÜK5 ǰλ

η‡ākDzŽǩt ηDzɁǩ DKNJÜϱ

KŠØhƵ .....ÆλƐüǩt ÆDZKDzÜÙλ .Y

KəƐ‡ϱ .....yŽƮϱ ÆϱØϱÜ.Y

K‡ākDzϱ .....ĀƮǩt yωÜ ÙƐII .Y

:ηØüϱKɁǩt ηDzŠǩt

ϱ2017 -2016 øǩ ĀətÙŽǩt øg1438 -1437

ƐǽƴÆơƿ ƐĞll

ŧƐØRg ŧƴƷţ ʤƴƷţǫƿ ƐǽƴÆĚŧ ÆǪüǩŧ Żŧ ƐĞllǫ

.ǨƷūǩŧ ŧƶǵ Ɛᴷlʡŧ Æə ᴋDzÆəƿ ǻƶǩŧ

ÆǪǿǪÜ ƴƷŢǫ ƷÑǫgƴǩŧ ÙƐ‡Ʒǩŧ ᴋDZƵᴷǫѕà ƐǽƴÆǫǩŧƿ ƐĞ‡ǩŧ Ǫþ

ÛŋƷØÆĚŧ ǴŢhʞkdžDZƿ ǴoʞHuØΣÑǫƛ ʞǫÑǽ ᴋDzÜ ǨUШǽ Ǫǩ ǻƶǩŧ

ǨƷüǩŧ ŧƶǵ ǫʞƷσF ǨΣǫ ǰ ǫ ÛᴷDzǩ ǴσƴDZᴷѕǫƿ ÛᴷDzØǪÜ ʤƐШDžƿ

ŋăÆƐZ ƐƱƋ ǺǩF Ǵǫǽŧyʌ ǰ ǫ ʤƐăƽ ǻƶǩŧ

.ǻƵᴷǫѕǫ Gǩ ƐĞ‡ǩŧ ǨĞə ÛJΝƐØRĞǩŧ Ǵoèʞǔ‡DZŧ ǪÜƷ ǴØə Oüljƿ

ʞHuǪNJÅǫǩ ŋ‡ākDzƷǩŧ ŋDzlǫǩ ƐĞ‡ǩŧ ǪØŏÜ ǴØΣÑσ ʞNJǽǫ ᴋDzǵ ᴋDzØǪÜ ǫŧƶǩ ƴlDZƿ

. ǨƷūǩŧ ŧƶǵ ŋ‡ākDzǫ ğÑШÆƛ

ğʞƷÜ ǺǩF ŋəʞljâʞƛ uǽƷᴷǫǩŧ ǪѕāÆÅŎÑǫƿ JƵoʞѕǫ ƐĞ‡ᴋ ʞƷg

.ŋDžʞƱ ŋØüǫʞlǩŧ ŋШǫĞƷǩŧ

yØüƛ ƿǫ ŧ ǽƐā ǰ ǫ Ǫǵʞѕ ǰ ǫ Ǩg ǺǩF ᴋDZƐĞll ǴΣÑᴋ ʞƷg

.ƤŢШǩŧ ŧƶǵ ƐᴷlᴅZŧ Æə

DłyğF

ǴǩŃƽʒ ÁǫŰ ǫÊƚǩłp ȷNÊdžǩłp ǴØə łʒĸɯǫ ĸɯØĂ łƐØRg łyƷf Ż yƷƮǩł

:yűƛ ĸǫǫ ǴǩƋ ÁǫÜp

:ÁǩF łƶǵ ÆǫƷŰ áyğǫ

ƐØƱ Ńǵ ĸǫ ǨĞƛ ÆDzyǫp ÆɯDzĸΣ ÁǩF ùāpp áʒƐǫ yll ǰǫ

ĸHuDzǫ ηØƷǫüǩł ηDžĸƱp ÆơĸØf ʒŃǫǫ Æə ÆƛʒY ηǫDžłŃƷǩ YŃƷDžp ȷNŃā ǰǫ

"ÆǫŰ" Ǵƛ ƐUƈəǫ áƶǩł áyǩłp ÁǩF

ǰǩ O’ǫüə ĸƷHǫp O’ǫā ĸƷHƷə "ηƷØǫf" Ækǫ ÆfĸǏDz Ɛƽ ĸǵəĸÜY ƷĸG ǰǫ ÁǩF

Ǩg ĸƷHuæyğǂə łyʎǫp ĸƷhułY ÆɯǫāÆə ĸƷHuƈpzĸĞǫp ÛĸƷHuÆfp ĸƷǵʒyā ÆəPǫ

.ÆơYĸüƽp ÆfĸǏDz

ηDzØǩ" ηØǩĸüǩł Æƈpzƛł áYŃΣp Ɛƽ ÁǩF ÆơĸØf ηƷƚƛ ÁǩF ÆơĸØf æÊǫ ÁǩF

ĸHuǒÄƮǽ Ʒǫ Żł ŃÜYǫ Æƈǩł "ǫłƐǫ

.yƷƮǫ ÛÆĕÊØΣ Ûǰ ØǫǫÜƐllǫ yØǩp : ÆơŃƱF ÁǩF

.ηƮØƈə ÛηƷøüDz ÛηƷĂĸə ÛȷNʒŃDz :ÆơłŃƱǫ ÁǩF

DtyğF

ğzǩt ţKDzΣ KʒHuǩ LjÅƱtp" :ÁǫÜp ǨΣ ǴǩÑā Æə Áǫǫơ ΘKǽa ǪHuÆt Æə ǰǫ ÅǩF
"tƐǾǔDž ÆDzKǾƛʒ Kʒg KʒHuʒtʒt Æƛʒ Ǩāp ηʒtƐǩt ǰǫ
ηΤdžǩtp KHuǫKʒơ ηʒüɒǩt ǰǫ ǪHuΤDzŽǽ ʒǫ Żt ğƎƽǫ ǰǾžǽƐǴǩt ǰǽyǩtÑǩt ÅǩF
.KHuǫtpY

yʒtǫ Æƛǫp ηɋUƛ Æǫǫ ηøəKüǩtp DKäüǩtp ƐǾUǩt ǫtpY KʒHuǩ ÁDzʒơǫ
ƙʒY ÆDzgʒKll ǰǫp ǰǾžǽƐǴǩt ǰǽyǩtÑǩt ùɒg Æə ǪHuūǫ ΘƎ‡DZ ǰǫ ÅǩF
ł ǾɁDZ Ûǰǿǫǫ ÛʒKʒtY ÛÅÅädžǫ ÛyʒΤǫ :ÆơÑƱF ƨKɒǩt ƙƐāǫ ÅǩF ΝKǾΤǩt
.ηΣKΤǩt ÛΝƐǾƱ ÛYKüƽ ÛηʒĂKə : ÆơtÑƱǫ ÅǩFp

ǰǫ Ǩg ÅǩFp ǰǫÑǫ ǰƛ ηǪhuKÜ Ǩg ÅǩF ǔljtÑɋʒǩt Ǩʒüǩt tzǵ Æƛyğǫp
.ÆơƐgzǫ ǪHuüƽơ ǪǩP ÆơƐgtZ ǪHuɋüƽp

DtyğF

.GqÜĸăλ èƑ ƷĸHuɒǩt ł ǿăǽ èp æƐĞ‡λ èƑ ǨǾǫǩt ł ǿăǽ è ÆHuǨF

èƑ ηɯʅǩ ł ǿăơ èp... æÑÅüλ èƑ ƝƐƱǿt ł ǿăơ èp... æƐgƶλ èƑ ΘĸŏƮǫǩ ł ǿăơ èp

.ǴǩÊΣ ǨΣ Żt ÛGqǽəƐλ

ǰǾƷǨĸūǩt ƷÑɒzp ηƷfƐǩt Æɒλ ÁǨF ηǫàt Tdžɒzp... ηɯzĸǫàt ńYǫp ηǨĸƽƐǩt úǫλ ǰǫ ÁǨF

.ǪǫƽP ǴǾǫÜ Żt ÁǫDž yƷƮǫ ĸɒzyǾƽ

Ɛƽp ƝĸǾƮǩt ηƷŞλ ÁǨF ... ƷĸɒzƮǩt Ádzüǫ ÁǨF ł Tǩt Ádzüǫ ÁǨF... ƝĸǾƮǩt Æə ÆgÊǫ ÁǨF

.YÑΣÑǩt

ηɯǿɯƮǩt ÆǫǪ ł ǽĸɯƮǩt ÁǫÜǪ ÁǨF Æfŧ£Σ ǪŞǫλ ĸHuɒzĸɒzfp Æfĸʅɒz ĸHuhuĸÜY ƷĸG ǰǫ ÁǨF

.(NYÑüŞǫ)

Ǫǫf ǰǫ ÁǨF ƝĸǾƮǩt ɒzzǵ Æə áyǿƽ ÁǨF ƝƐλĸRƷǩt ţpƷ ÆŞÅɒz Æə ƨƐÜ ǰǫ ÁǨF

.(ƷyǽÑā) ƶǽƶüǩt ÆλǪ Ǵλ ƐUqəǪ ǰǫ ÁǨF ... GǩZ Ǵǩ ƷĸĞə ǫÑǾǩt ŧzHuλ

. ΘŧÑƱàŧp ƝÑƱât Áǩŧ

.ǫÊÜÑλ ÁǨFp

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
تح	تحقيق
تص	تصدير
تر	ترجمة
تق	تقديم
تع	تعليق
ج	جزء
مج	مجلد
ص	صفحة
ط	طبعة
نق	نقدية
د .ت	دون تاريخ
هـ	هجري
م	ميلادي
مر	مراجعة

مقدمة

شهد المغرب الإسلامي ظهور تيارات مختلفة مكنته من إثراء التراث الفكري وهذا بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فالتيارات الفكرية جاءت أساسا من المشرق، إذ يشهد التاريخ الاختلاف الذي وقع بين المسلمين في أمر الخلافة، وهذا كان سببا في تشتت المسلمين إلى فرق كلامية، إذ أصبحت كل فرقة لها منهج ورأي خاص، معتقدة في ذلك أنها تمثل الامتداد الحقيقي لفهم الدين.

كان من الضروري هنا أن ننبه إلى أننا نقصد بالفرق الكلامية تلك التي تعارف المؤرخون وكتاب الفرق الإسلامية على أنها تعني المذاهب الكلامية العقائدية التي يجسدها لنا علم الكلام ومن المعلوم أن هذا الأخير هو غاية العلوم وأسها لأنه يحقق الإنسان في مدارج العبودية.

لكن كان للسلطة السياسية والهيئة العلمية موقف من ظهور هذا الأخير في المغرب الإسلامي من القرن 3هـ الى 6هـ، حيث وقع اختيارنا على الموضوع وهو موقف السلطة السياسية والهيئة العلمية من ظهور علم الكلام في المغرب الإسلامي من القرن 3هـ الى 6هـ لجملة من الأسباب: نقص الدراسات التاريخية في هذا الموضوع وأردنا أن يكون بحثنا أكثر موضوعية وجدية وهذا كله بتوفيق من المولى عز وجل، وأن يكون مرجعا ولو بسيطا لزملائنا الطلبة في قسم التاريخ عامة والمغرب الإسلامي خاصة، وكان من بين أهم الأسباب أيضا التي جعلت أنظارنا تتجه لهذا الموضوع هو تنمية رصيدنا المعرفي وحب التطلع الى جانب الفضول في معرفة أهم الفرق الكلامية وأبرز العوامل التي ساعدتها على الانتشار في المغرب الإسلامي، وكيف كان رد فعل السلطة المرابطية من هذا الأخير، إضافة الى الدور الذي لعبه الموحدين في تفعيل علم الكلام ومحاولة تنشيط العقيدة الكلامية والنهوض بها.

تكمن أهمية موضوع دراستنا موقف السلطة السياسية والهيئة العلمية من ظهور علم الكلام في المغرب الإسلامي من القرن 3 إلى 6هـ، الذي يعتبر من أهم المواضيع الفكرية والعقدية في المغرب الإسلامي، وانطلقنا من دراستنا لهذا الموضوع بإشكالية عامة وهي: كيف كان انتشار علم الكلام في المغرب الإسلامي وما مدى العوامل التي ساعدت على انتشاره؟ وما موقف فقهاء المالكية من علم الكلام "فقهاء المرابطين"؟ وأيضا فيما تمثلت عقيدة ابن تومرت الكلامية؟ وما مكانة الفكر الأشعرية في العهد الموحدي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على انتقاء المعلومات من المصادر والمراجع ثم العمل على تحليلها ومقارنة النصوص ببعضها البعض.

وقصد الإحاطة بالموضوع وسعيا منا لحل الإشكاليات رسمنا له خطة متناسقة للإجابة على مختلف التساؤلات حيث قسمنا بحثنا إلى مدخل وثلاثة فصول، وبدأت دراستنا بمقدمة عرفنا فيها بأهمية الموضوع والإشكالية، والمنهج لمتبع والصعوبات وأهم المصادر التي اعتمدنا عليها، أما المدخل فتحدثنا فيه عن علم الكلام وأهم الفرق الكلامية، حيث قسمناه إلى مبحثين: تطرقنا في المبحث الأول إلى تعريف علم الكلام، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى اهم الفرق الكلامية.

لكن فيما يخص الفصل الأول الذي كان بعنوان انتقال علم الكلام إلى المغرب الإسلامي، وثم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان عوامل انتقال علم الكلام من المشرق إلى المغرب والثاني عن الصراع بين المعتزلة والمالكية والثالث: علاقة الإباضية بالمعتزلة.

أما الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان السلطة المرابطية وموقفها من علم الكلام الذي يندرج تحته مطالبين، المطلب الأول بعنوان موقف فقهاء المالكية أما المطلب الثاني جاء بعنوان التطور من علم الكلام إلى الفلسفة الإسلامية في الأندلس. أما الفصل الثالث الذي جاء بعنوان علم الكلام على العهد الموحدي حيث تناولنا فيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان عقيدة ابن تومرت الكلامية، أما المبحث الثاني تحدثنا فيه عن الفكر الأشعري ومكانته في العهد الموحدي، والثالث عن أهم المتكلمون في العهد الموحدي.

وكما هو معهود بالنسبة لكل دراسة تاريخية هناك مجموعة من الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في إعداد هذه الدراسة ولعل من بينها صعوبة التنسيق بين فقرات المادة العلمية إلى جانب نقص المادة العلمية، كما أنه موضوع ذو صلة بالدراسات الدينية والفلسفية لكثرة الإشكاليات التي تتعرضه، بالإضافة الى عدم تحكمنا في المادة العلمية. وعلى الرغم من أهمية الموضوع الذي وقع عليه اختيارنا إلا أن الدراسات فيه تعتبر شحيحة جدا.

وختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع، واعتمدنا في إعداد هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع كان من أهمها:

– المصادر:

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر لصاحبه "عبد الرحمان ابن خلدون" وهو مصدر لا يمكن لأي باحث أن يستغني عنه لما لصاحبه من فضل لزيادة والتقدم في الكتابة التاريخية ولو فعل لجاء بحثه ناقصا ولقم تمت الإستعانة به كثيرا في إنجاز هذا البحث.

–كتابة مدونة الفقه الإسلامي، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أفادنا هذا المصدر كثيرة في معرفة أسباب نشأت علم الكلام.

–كتاب شرح المقاصد ل مسعود بن عمر بن عب الله سعد الدين التفتازاني الذي ساعدنا في معرفة علم الكلام

–كتاب المواقف في علم الكلام ل عضد الدين لإيجي الذي يعتبر من بين أهم المصادر التي تطرقت لعلم الكلام.

–كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي الذي ساعدنا هو أيضا في تعريف علم الكلام

–كتاب لسان العرب لابن منضور الذي لا يمكن الاستغناء عنه في التعرف على أهم الفرق الكلامية خاصة المعتزلة.

– كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ل شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الذي ساعدنا على التعرف على فرقة الأشاعرة.

– المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي الذي يعتبر من أهم المصادر لدولة المرابطين، حيث أفدنا هذا الأخير في معرفة المذهب الذي كان يتمذهب به المرابطين "مذهب الإمام مالك وأيضا أفلانا في التعرف على المهدي بن تومرت وعقائده.

– وأيضا كتاب التقريب لحد المنطق لابن حزم الذي أفادنا في التعرف على كتب علم الكلام التنويه الى كتاب الله والتأكيد على منفعية كتاب الله عز وجل.

– كتاب أعز ما يطلب، لابن تومرت، الذي ساعدنا في التعرف على عقيدة المرشدة وأثرها في نشر الأشعرية.

– **المراجع**: من أهمها:

– كتاب الفرق الكلامية ل علي عبد الفتاح، ساعدنا في التعرف على أهم الفرق الكلامية.

– كتاب فرق ومذاهب في تاريخ المسلمين (فيس سلم المعايطة، ساعدنا في التعرف على فرقة المعتزلة).

– كتاب تاريخ الجزائر العام، ل عبد الرحمان الجيلالي، أفادنا في التعرف على مكانة الأشعرية والطريقة التي دخلت بها بلاد المغرب.

– كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ل محمد أبو زهرة.

– كتاب ثورة العقل دراسة فلسفية في فكر المعتزلة ل عبد الستار عز الدين الراوي.

– كتاب تاريخ دولتي المرابطين والموحدين لمحمود السيد.

– كتاب قيام دولة الموحدين لمراجع عقيلة العناي.

– كتاب دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية ل دندش عصمت عبد اللطيف.

– كتاب دولة الموحدين ل محمد الصلابي.

– كتاب دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه من نصف القرن الأول إلى بداية ق 8هـ لمغزاوي مصطفى.

– كتاب تطور علم الكلام الى الفلسفية ومنهجها ل عباس اسليمان.

مدخل

ęÊøøøĞøøøøøǩŧ Ǫøøǫøøøøøǖ

1- تعريف علم الكلام

2- الفرق الكلامية

1- تعريف علم الكلام:

لقد نشأ علم الكلام شأنه شأن سائر العلوم الإسلامية ويعد من أهم الدراسات الفكرية، حيث تناول المفكرون المسلمون القدامى والمحدثون علم الكلام في تعاريف مختلفة نذكر منها على سبيل المثال تعريف ابن خلدون:

ابن خلدون: أنه علم يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد فلنقدم هنا بصفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمآخذ ثم نرجع إلى تحقيق علم الكلام، وفيها ينظر وتشير إلى حدوثه في الملة، وما دعا إلى وضعه فنقول علم الحوادث في علم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية، فلابد لها من أسباب متقدمة عليها بها، تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من تلك الأسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقرا العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من تلك الأسباب حادثة أيضا، فلا بد له من أخرى لا تزال الأسباب مرتقبة حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموحدها وقال فيها لا غله إلا هو سبحانه[1] وعرفه عضد الدين الإيجي: «أنه علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»[2]، وعرفه سعد الدين التفتازاني: أنه العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية[3].

عرفه الإمام الغزالي يعرفه بأنه عندما نشأت صيغة الكلام وكثر الخوض فيه، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن خصائص الأمور.[4]كما عرفه الفرابي: "بانه ملكة يقتر بها الإنسان على نصرة الآراء، والأفعال المحمودة التي صرح بها واضح الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل".[5]

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط9، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص: 363 .

[2]- عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م، ص: 13.

[3]- مسعود بن عامر بن عبد الله سعد الدين التقتازاني، شرح المقاصد تح و تع: عبد الرحمان عمير، نص: صالح موسى شرف، ج1، ط2، عالم الكتب، لبنان، 1419هـ/1998م، ص: 163.

[4]- أبو حامد الغزالي بن محمد الغزالي، المنفذ من الضلال، تح: محمد إسماعيل حزين واخرون ، موقع الفلسفة الإسلامية،2002 م

[5]- الفرابي:إحصاء العلوم ،تحقيق عثمان أمين،ض:131.

و من هذه التعريفات فإن علم الكلام يقوم على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ،ودفع الشبه والمراد هنا بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل ،وبالدينية المنسوبة إلى دين النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام[1].

ومن هذه التعريفات فإن علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدينية ذلك عن طريق الأدلة العقلية للرد على كل الشبهات والانحرافات، فهو العلم بذات الله تعالى وصفاته وبأحكام الألوهية والنبوة والمعاد.

ولعلم الكلام مهمة دفاعية تتمثل في رد على شبهات بالأدلة لتي يدعيها الخصوم المنكرين للعقيدة الإسلامية و هم أصحاب الديانات الشرقية القديمة، أو أصحاب الديانات السماوية المخالفة للإسلام "اليهودية، والمسيحية"، كما استخلصنا ان مباحث الكلامية انها كانت تدور حول مسائل الايمان، كالبحث عن الموقف من مرتكبي الذنوب خاصة الكبائر ، وهل يخرجون من الإيمان أولا ، وجر هذا الى البحث في حقيقة الايمان ومن هو المؤمن وإلى غير ذلك من المسائل التي تتصل مباشرة بأصل العقيدة وفهم كل فريق لتلك الاصول وتوضيحها بالأدلة العقلية .[2]

[1]- عبد الله عبد الرحمان بن أحمد الإيجي ،المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، ص:07.

[2]- علي عبد الفتاح المغربي ،الفرق الكلامية ،ط2،مكتبة وهبية القاهرة ،1995،ص:11.

2- الفرق الكلامية:

2-1- المعتزلة:

2-1-1 التعريف بالمعتزلة:

أ- لغة:

مأخوذة من الاعتزال وأصلها عزل بمعنى الانفصال والتنحي[1] وقد ورد الاعتزال في القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ**﴾[2] ويقول أيضا: ﴿**إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**﴾[3] ومنه فالاعتزال في اللغة يدور حول الانفراد والانقطاع والانفصال وعليه فالمعتزلة هم المنفردون والمنفصلون من غيرهم.

ب- اصطلاحا:

فهم فرقة ظهرت في الإسلام وأوجدت الأصول العقلية لعقائد الإسلامية وقال بعض المؤرخين ان المعتزلة أن المعتزلة مع طائفة من علماء المسلمين قرأوا في الدين غير الآراء المتفق عليها وتسمو بالمعتزلة لانهم اعتزلوا اهل السنة[4]

وكان ظهور هذه الفرقة في أوائل القرن الثاني وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري[5]،وقد اختلف العلماء في وقت ظهورها فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي رضي الله عنه ، واعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن العلاقة لمعاوية بن أبي سفيان وفي ذلك يقول ابن الحسن الطرائفي في كتابة أهل الأهواء والبدع وهم سمو أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن ابن

---

[1]- إبن منصور ابو الفضل محمد، بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت لبنان،1995، ص :767.

[2]- سورة الدخان، الآية:21.

[3]- سورة الشعراء، الآية: 212

[4]- محمد فريد وحدي، دائرة معارف القرن العشرون، د. ط، دار الفكر، بيروت، ص:423.

[5]- قيس سالم المعايطة ، فرق و مذاهب في تاريخ المسلمين،ط1 ،كنوز المعرفة الأردن،2014 ،ص: 184 .

علي عليه السلام معاوية وسلم الأمر إليه واعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا تشغل بالعلم والعبادة[1].

2-1-2- أصول المعتزلة :

ومن أهم هذه المبادئ:

أ- التوحيد:

ويقصد به إثبات وحدانية الله ونفي المثل عنه أي نفي الصفات عن الله تعالى بمعنى إثبات ذات مجردة من الصفات[2].

ب- المنزلة بين المنزلتين:

هي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري إذ يعتقد المعتزلة أن مرتكب الكبيرة في الدنيا لا يسمى مؤمننا بوجه من الوجوه ولا يسمى كافرا بل يسمى فاسقا[3] وهو في منزلة الكفر والإيمان فإن تاب رجع إلى ايمانه وان مات على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدا فيها[4].

ج- العدل:

يقول فيه القاضي عبد الجبار :" العدل هو كلام يرجع الى افعال القديم وما يجوز عليه، ومالا يجوز فلذلك اوحينا تأخير الكلام في العدل عن الكلام في التوحيد بحيث اتضح انهم يريدون بالعدل ما يتعلق بأفعال الله عز وجل التي يصفونها كلها بالحسن ونفي القبح عنها.[5]

---

[1]- قيس سالم المعايطة، المرجع السابق،ص:187.

[2]- البغدادي ، الفرق بين الفرق ،تح: محمد محي الدين، د.ط ، مكتبة العصرية،بيروت،1995،ص:119.

[3]- عبد الجبار ابو الحسن بن احمد، شرح الاصول الخمسة ،تح :عبد الكريم عثمان تع: احمد بنو الحسن بن ابي هاشم، ط3،مكتبة وهيبة، القاهرة،1996، ص:138.

[4]- عبد الستار عزالدين الراوي ،ثورة العقل دراسة فلسفية في فكر المعتزلة ،د.ط ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت ص:53.

[5]- قيس سالم المعايطة، المرجع نفسه،ص:189.

د–الوعد والوعيد :

فمفهوم المعتزلة "للوعد والوعيد" هو أن يعلم ان الله وعد المطيعين، بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب ، وأنه يفعل ما توعد به وتوعد عليه لا محالة.[1]

هـ–الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن المعتزلة يستندون في وجوب هذا الأصل على قوله تعالى﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[2]

2–2 الأشاعرة:

2–2–1 التعريف بالأشاعرة:

ظهرت هذه الفرقة في أواخر القرن 3هـ في البصرة[3]، وكان تأسيسها على يد أبي الحسن الأشعري.[4]

ظهرت فرقة الأشاعرة في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة في البصرة، بعد انصراف ومهاجرة أبو الحسن الأشعري للإعتزال[5]،حيث ساهم الأشاعرة في تأسيس علم الكلام جديد، هدفه الحد من سطو العقل عند المعتزلة فأصبحوا في نفس مذهب الاتجاه النصي الذي لدى أهل السنة والحديث، حتى أصبحت فيما بعد من أكبر فرق السنة والجماعة.

2–2–2 انتشار المذهب الأشعري:

من أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب الاشعري هي:

- انسلاخ الأشعري عن الاعتزال، و اتخاذه قرار كشف ضلالتهم والرد عليهم.

---

[1]–قيس سالم المعايطة، المرجع السابق ،ص:192.

[2]– سورة آل عمران، الآية :110.

[3]– سعد رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البداية، ط1، الأوائل للنشر، دمشق، سوريا، 2004، ص : 123. انظر: المطهري.

[4]– هو أبو الحسن الأشعري ولد سنة 206هـ وتوفي في 324هـ، حيث تتلمذ على يد أبي علي الجبحاب شيخ المعتزلة في عصره. أنظر: حمودة غرابة، ابو الحسن الأشعري، د.ط، مجمع البحوث الاسلامية، القاهرة، مصر، 1973م، ص : 60.

[5]– سعد رستم، المرجع نفسه، ص : 123.

- الصراع المذهبي، أكسب هذا المذهب أنصار يردون على مذهب المعتزلة.
- الإقناع بالحجة والبيان، و قدرة الأشعري على البرهنة بالأدلة.
- المساهمة الفعالة لتلاميذه في نشر المذهب.[1]

2-2-3 أهم عقائد للأشاعرة:

- تقديم العقل على النقل.
- نفيهم لأمور تتعلق بقدرة الله ومشيئته، أي نفيهم الصفات الاختيارية التي تقوم بذاته كالإستواء والنزول والمحيا والرضا والغضب.
- إثبات وجود الله.
- التوحيد وهو إثبات ربوبية الله وألوهية وأسمائه وصفاته.
- صاحب الكبيرة، قالوا بأنه مؤمن بالتوحيد لكنه فاسق بكبيرته.[2]

2-3- القدرية:

خاض المسلمون في القضاء والقدر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين وعصر الأمويين، ونفوا أن يكون للإنسان إرادة فيما يفعل وهؤلاء هم الجبرية، والقدرية غالوا أيضا، فقالوا إن كل فعل الإنسان هو إرادته المستقلة عن إرادة الله سبحانه وتعالى، ومن هؤلاء المعتزلة وإن كانوا قد عُرفوا بالكلام في مسائل أخرى، و هذه إحدى مسائلهم، ولذلك عُدَّ الاعتزال مذهبا قائما بذاته، ولم يقف هؤلاء القدرية عند هذا الحد الذي يشتركون فيه مع المعتزلة، بل كان منهم من غال أكثر من ذلك فنفى عن الله تعالى "القدر" بمعنى العلم والتقدير، وقال في ذلك الأمر أنف فيروى أن معبد بن خالد الجهني وهو من رؤوسهم سمع من يتعلل في المعصية بالقدر فقال في الرد عليه: "لا أقدر والأمر أنف"

[1]- عدنان علي كرموش الفرابي، التوافق بين الأشعرية و السلف في العقيدة، الجامعة الإسلامية، د.ط، بغداد، العراق، (1428هـ، 2007، ص:39).

[2]- سعد رستم، المرجع السابق، ص ص129، 134، المطهري، المرجع السابق، ص: 57.

أي أن الأمور يُستأنف العلم بها وتُستأنف بالتالي إرادتها، وكأنه بهذا نفي الإرادة الأزلية، ونفي العلم الأزلي القديم، وذلك ليخرج فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخالق العليم.[1]

اندهش بعض المؤرخين من تسميتهم "بالقدرية" لأنهم نفاة للقدر فكيف ينسبون إليه؟ فقال قوم: "إنه لا مانع من أن ينسبوا إلى ضد ما يقولون، كما تسمى الأشياء بأضدادها"، وقال قوم: "إنهم نفوا القدر عن الله وأثبتوه للعبد" فسموا لذلك بالقدرية، أي جعلوا كل شيء لإرادة الإنسان وقدرته فكأنما أعطوا الإنسان سلطانا على القدر.

كان على عهد هشام بن عبد الملك رجلا قدريا، فبعث هشام إليه فقال له: "قد كثر كلام الناس فيك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، أدع من شئت فيجادلني، فإن أدركت علي بذلك فقد أمكنتك من علاوتي، فقال هشام: قد أنصفت، فبعث إلى الأوزاعي فلما حضر قال له هشام: يا أبا عمر ناظر لنا هذا القدري.[2]

يرى ابن القيم في هذا يصور مذهب السنة برأيٍ يراه هو وشيخه ابن تيمية إذ يقرر أن أفعال العبد تستند إليه، وأن الخالق لها هو الله تعالى، لأن الله تعالى خلق فيه القوة الفاعلة، ولأن التناول من العبد، فعلاقة العبد بما يستند إليه من أفعال علاقة المتناول لما خلق سبحانه وإن ذلك التناول نفسه إنما هو القوة التي أودعها الله تعالى إياه.[3]

2-4- المرجئة:

أ- لغة:

يطلق على عدة معاني منها الأمل، والخوف، والتأخير، وإعطاء الرجاء، وقد يهمز وقد لا يهمز، قال تعالى: ﴿**وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [4]،أي لكم أمل في الله لا

[1]- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، د.ط، دار الفكر، القاهرة، د.ت، ص ص: 120-121.

[2]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ص : 120-121.

[3]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ص: 124-126.

[4]- سورة النساء، الآية: 104.

يوجد عندهم وقال تعالى﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾[1]،أي مالكم لا تخافون من عذاب الله تعالى، أما الارجاء بمعنى التأخير في مثل قوله تعالى ﴿**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾[2]، فقد قرأ أرجه وأرجئه أي آخره، وقال تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ**﴾[3]، ويذكر الأزهري حال استعمال الرجاء بمعنى الخوف بقوله إنما يستعمل الرجاء في موضع الخوف إذ كان معه حرف نفي ومنه قوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾[4].

ب- اصطلاحا:

اختلف العلماء في المفهوم الحقيقي ومفاد ذلك ما يلي:

أن الإرجاء في الاصطلاح مأخوذ من معناه اللغوي أي بمعنى التأخير والإمهال وهو إرجاع العمل عن درجة الإيمان وجعله في منزلة ثانية بالنسبة للإيمان، لا أنه جزء منه وإن الإيمان يتناول الأعمال عن سبيل المجاز بينما هو حقيقة في مجرد التصديق.

وذهب آخرون إلى أن الإرجاء يراد به تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه في الدنيا بحكم ما.

خلص بعضهم من هذا المفهوم إلى وصف الصحابة الذين اعتزلوا الخوض في الفتن التي وقعت بين الصحابة وخصوصا ما جرى بين علي ومعاوية من فتن ومعارك طاحنة خلصوا إلى أن هؤلاء هم

[1]- سورة نوح، الآية:13.

[2]- سورة الأعراف، الآية:111.

[3]- سورة التوبة، الآية : 106.

[4]- سورة نوح، الآية:13.

نواة الإرجاء كونهم توقفوا عن الخوض في ذلك ومنهم سعد بن أبي وقاص وأبو بكرة راوي الحديث وعبد الله بن عمر وعمران بن الحصين، حيث أنهم توقفوا ثم أرجأوا الحكم في تلك الفتن.[1]

لقد قسم العلماء المرجئة إلى قسمين مرجئة السنة وهم الذين قرروا أن مرتكب الذنب يعذب بمقدار ما أذنب ولا يخلد في النار والقسم الثاني مرجئة البدعة وهؤلاء الذين اختصوا باسم الإرجاء عند الأكثرين وهم الذين يستحقون مقالة السوء من الجميع.[2]

[1]- قيس سالم، المرجع السابق، ص ص : 129-170.

[2]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ص: 127،129

الفصل الأول: انتقال علم الكلام من المشرق إلى المغرب

المبحث الأول: عوامل انتقال علم الكلام من المشرق إلى المغرب

المبحث الثاني: الصراع بين المعتزلة والمالكية.

المبحث الثالث: علاقة الإباضية بالمعتزلة

المبحث الأول: عوامل انتقال علم الكلام من المشرق إلى المغرب.

1- دخول المعتزلة إلى المغرب الاسلامي:

تعد المعتزلة من اكبر الفرق الكلامية ارتبطت تاريخيا مع أبي حذيفة وأصل بن عطاء اعتمادا على القصة الشهيرة التي ترويها المصادر التاريخية وهو أن أحدهم دخل على الحسن البصري فقال له: "يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبير عندهم كفر يخرج من الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ،بل العمل مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ويضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر الطاعة"، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا فتفكر الحسن في ذلك وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء:" أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر" ثم اعتزل في جانب من المسجد فقال الحسن البصري اعتزل عنا واصل.[1]

كان دخول مذهب الاعتزال لإفريقية عن طريق واصل بن عطاء و يعد هذا هو العامل الأول في دخول علم الكلام إلى المغرب الإسلامي.

زعيم المذهب وأحد مؤسسيه(80 -131 هـ) بعث أحد دعائه إلى بلاد المغرب ويدعي عبد الله بن الحارث الذي أفلح في جذب كثير من البربر إلى مذهبه، و خاصة في المغرب الأقصى، و قد ظهر مذهب المعتزلة نتيجة لتلك الجهود في المغرب الأوسط، حيث كان له وجود كثيف هناك وليس ببعيد أن يكون قد عرف في المغرب الأدنى.[2]

أما السبيل غير المباشرة الذي أدى إلى تسرب مذهب المعتزلة ،و من ثم التمكين له فهي متعددة، و لعل أهمها هو أن كثيرا من الأحناف في المشرق قد مالوا إلى تعاليم المعتزلة، و خاصة بعد أن أصبح الاعتزال المذهب الرسمي لبعض خلفاء الدولة العباسية، ومن هنا فقد مكن فقهاء الأحناف في إفريقية الذين كان لهم وجود كبير فيها حسبما أشرنا إلى ذلك من قبل لمبادئ الاعتزال أن تنتشر

---

[1]- الشهر ستاني، الملل و النحل، المجلد الأول،دط، دار المعرفة للطباعة و النشر ،بيروت ،لبنان،1980 ص 55 .

[2]- يوسف بن أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية، جزء 2، ط1، مكتبه الملك فهد، مكة، سنة 2000م،ص 8،أنظر أحمد أمين: فجر الإسلام ص 283-301،انظر عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ط1، دار سحنون، بيروت، لبنان،1429 هـ -2008م ، ص 105.

هناك، وسبيل آخر أدى إلى شيوع أراء مذهب الاعتزال وهو تمذهب معظم أمراء الأغالبة به، و ما من ريب أن أولئك الأمراء الأغالبة كانوا يصدرون في ذلك من ميلهم إلى تقليد من التعصب لمذهب المعتزلة من خلفاء بني العباس، و هم المأمون والمعتصم والواثق كما هو معروف.[1]

غير أن الغريب في الأمر انه في الوقت الذي نبذ خلفاء بني العباس ابتداء من الخليفة المتوكل مذهب المعتزلة، واصل الأمراء الأغالبة تأييد مذهب المعتزلة وعكفوا كذلك على تأييد الفقهاء الأحناف في صراعهم ذي الشقين :الحنفي و الإعتزالي ضد خصومهم المالكيين ،حتى السنوات الأخيرة من عهد الدولة الأغلبية.[2]

والسبيل الثالث غير المباشر، كان بالطبع ذلك الذي ترفده وحدة الثقافة الإسلامية ،الذي كان شائعا وقتذاك في المشرق من اختلافات مذهبية وصراعات بين العقليين والنقليين، كان يتردد صداه في كل الأقاليم الإسلامية الأخرى، والأدلة والشواهد أوضح من أن نحددها ونحصرها فالرحلات المتبادلة للعلماء بين صقع وصقيع ،ورحلات الحج للمغاربة بصفة خاصة والاستيطان المؤقت او الدائم كل ذلك كان كفيلا بان ينتشر علم الكلام.[3]

2- دخول المرجئة إلى المغرب الاسلامي:

إلى جانب الاعتزال هناك فرقة تسمى المرجئة وهم فريق اختار البقاء في الحياة من الأحداث التي وقعات للمسلمين عبر وعن موقفهم بقولهم بالإرجاء أي أنهم لم يكفروا وأي فريق من المتخاصمين بل يرجئون أمره إلى يوم القيامة ،يبدو أن المغرب الإسلامي وصلته أفكار هذه الأخيرة في النصف الثاني من القرن الثاني هجري، ونستكشف ذلك من سؤال الأمير الأغلب محمد بن سحنون عن موقفه من يزيد بن معاوية فرد ابن سحنون عليه قائلا يزيد الله الأمير لا أقول ما قالت الإباضية

[1]- عبد العزيز مجذوب ،المرجع السابق، ص105.

[2] - يوسف بن أحمد حوالة، المرجع سابق، ص9.

[3] - المرجع نفسه،ص10.

ولا ما قالت المرجئة...أتى يزيد عظيما جسيما، ويفعل الله في خلقه ما أحب[1]، ولكن هذا المذهب لم يكن له أتباع في المغرب مثل المذاهب الأخرى، إنما اقتصر على أفكار فقط[2].

وفي الأخير نستنتج بان دخول علم الكلام إلى المغرب الإسلامي كان بفضل واصل بن عطاء، زعيم المذهب الإعتزالي[3]، بعث أحد دعاته إلى بلاد المغرب ويدعى عبد الله بن الحارث الذي أفلح في جذب كثير من البربر إلى مذهبه وخاصة في المغرب الأقصى

انتشر علم الكلام في المغرب الإسلامي نتيجة الدعاة المتوجهين إلى المغرب من المشرق وأيضا إلى جانب رحلات الحج حيث كان حجيج المغرب يلتقي بحجيج المشرق فيتبادلون الأفكار فكل طرف يؤثر في الطرف الآخر ،إلى جانب المناظرات العلمية التي كانت تقام آنذاك في خصوص علم الكلام وأهميته ،حيث أرجعوه في بحثه في العقائد بالأدلة العقلية وكانوا يردون على المخالفين عن هذا الأخير "علم الكلام" وهذا ساعد كثيرا على انتشاره في المغرب الإسلامي.[4]

[1]- يوسف بن أحمد حواله، المرجع السابق، ص: 10.

[2]- محمد أمين فجر الاسلام ، ص 194.

[2]-جوزيف فان ايس، نشأة علم الكلام في الإسلام، مجلة الأصالة، تأسست سنة 1971،العدد 25،المجلد 1،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان، العدد 2011، ص:199

[4]- محمد بن عبد الكريم المخيلي التلمساني، مدونة الفقه التصوفي مناقب و أثار، ج 2، تح مقدم مبروك، نق: بوعبد الله غلام الله، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف،تلمسان،2011 ص 216.

المبحث الثاني : الصراع بين المعتزلة والمالكية

1- أهل السنة المالكية وعلم الكلام:

يؤمن أهل السنة المالكية بأن علم الكلام هو علم دخيل على الاسلام استمده أوائل المتكلمين من فلسفة اليونان وحكمة الفرس*، وأن طريقة علماء الكلام كالحديث عن الجواهر والأعراض والحادث والقديم هي طريقة مبتدعة لم يكن عليها سلف الأمة الصالحة، ولذا فهم يؤمنون بأن علم الكلام لا يصلح لاستنباط أصول الدين ومعرفة الله وأن النصوص الاسلامية من القرآن والسنة النبوية فيها ما يكفي من الحجج العقلية والبراهين المنطقية لمجادلة المخالفين ودعوتهم الى الاسلام.

ذهب بعض السلفية الى جواز استعمال علم الكلام في باب الرد على اهل الكلام ولدفع مزاعمهم بنفس طريقتهم وإن التزموا بطريقة السلف في عدم الاستدلال ابتداء بالحجج الكلامية لإثبات الحقائق الشرعية ومن هؤلاء الحافظ ابن تيمية والحافظ جمال الدين المزي، ولكن هذه الطريقة لم تلق قبولا عند بعض أهل السنة المالكية الذين منعوا الخوض في علم الكلام مطلقا مثل الحافظ الذهبي.[1]

هنا نرى بوضوح الكره الشديد لفقهاء المالكين للمعتزلة حيث كانوا يعاملون كل من تبنى تلك الآراء بعنف وقسوة واستخدموا معهم كل مواقف الخصومة من مواجهة مباشرة إلى مقاطعة سلبية، إلى مواجهتهم بنفس سلاحهم أي الجدل أو المناظرة الى غير ذلك من المواقف.[2]

---

* - فلسفة: محبة الحكمة وهي تطلق على العلم بحقائق الاشياء وكنهها كانت تشمل العلوم بمجالاتها المتعددة غير أن هذه العلوم انفصلت عن فلسفة ،انظر محمد احمد الخطيب: مقاربة الاديان، ط2، دار المسيرة، عمان، الاردن ،2009 ص 22 .

فلسفة محبة الحكمة يعرفها الفيلسوف أفلاطون بقوله :"ان التفلسف هو ان نتربى على الموت بحيث تستطيع الفلسفة بمختلف أفكارها البسيطة ان تثير وتحرك كل انسان حتى الاطفال فان صياغتها الواعية لا تكون كاملة أبدا بل لا بد ان نصطلح بها من جديد والفلسفة مهمة سوف يواجهها الانسان بصورة أو بأمري ما بقي انسانا أنظر سليم دولة: ما الفلسفة ،ط1، دار الفرق، سورية ،دمشق، 2008 ص 49.

[1]- قيس سالم المعايظة، فرق ومذاهب في تاريخ المسلمين، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، عمان، 2014م، ص ص 222-223.

[2]- يوسف بن أحمد حواله، المرجع السابق، ص: 12.

2- فقهاء المغرب الاسلامي وعلم الكلام:

في عصر الولاة هب الفقيه المشهور عبد الله بن فرحون المتوفي عام 175هـ كما عرفنا سابقا، يعلن رأيه بصراحة وعنف في المعتزلة فيرميهم باللعنات، بل ويستجيز ذلك لهم، وكان عبد الله بن فرحون يرد بذلك على من اتهمه بأنه من المعتزلة، وقد أصر على أن ينفي عن نفسه كل تهمة ترميه بالميل للمعتزلة، فرفض ذات مرة أن يصلي على جنازة أحد المعتزلة المعروفين آنذاك.[1]

والاعتزال قد بدأ في افريقيا بمثل ما بدأ في المشرق بالخوض في أفعال العباد وعلاقتها بالقدر ومدى تأثير القدر في أعمالنا والبحث في ارادة الله ومشيئته وطاعة الانسان وعصيانه...ثم تحول الى الخوض في الصفات فكانت مسألة "خلق القرآن".

لعل أول من قاومها بشدة وعنف هو أسد بن الفرات، فقد كان يكفر بشر المريسي ويتكلم فيه بأقبح كلام، ولما بلغه أنه وضع كتابا وسماه بكتاب التوحيد قال أسد: "أو جهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتابا؟ هذه النبوة ادعاها" وكان يقول: "ويح لأهل البدع هلكت هوالكهم".[2] يزعمون أن الله عز وجل خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق :"أنا الله لا إله الا أنا"، وقد عارضه سليمان الفراد المعتزلي في حديث الرؤية فغضب غضبا شديدا، وأهوى عليه يضربه حتى أدماه وطرده من مجلسه، وصورت المسألة أن أسدا فسر لفظ (ناظرة) في قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة"[3] بمعنى الرؤية بالبصر فقال سليمان : "هي من الانتصار فكان ما جرى بينهما"، ورغم مواقفه الصارمة لم يأمن هو بدوره من تهمة القول بخلق القرآن[4]، لكن تنزهه عن ذلك خصمه سحنون بما لم يترك مجالا للشك إذ قال :"والله ما قاله ولو قاله ما قلناه".

3- مسألة خلق القرآن:

تواصل الصراع عنيفا حول مسألة خلق القرآن بعد أسد كما لو أن الاعتزال لا يعني شيئا سواها، فكانت هذه المسألة من أسباب الصراع المذهبي بين المالكية والأحناف العراقيين المتطرفين،

[1]- يوسف بن أحمد حواله، المرجع السابق، ص 13

[2]- عبد العزيز المجذوب المرجع السابق ص 111.

[3]- سورة القيامة، الآية 22 23 .

[4]- عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 112 .

وذلك أن هؤلاء لميلهم الى السياسة وأربابها انساقوا الى ما يزين لهم الامراء، فتمعزلوا وفقا لمزاج بني الاغلب وأعوانهم... ثم تشرقوا منضوين تحت لواء الفاطميين على نحو ما سيأتي في مكانه فكأنهم بذلك يرومون سيادة، أو يبحثون عن سلطان ضاع عنهم سبيل الوصول اليه[1].

وقد عرف ابن أبي حسان اليحصبي أن الامراء هم أصل الداء، وأنهم الذين جرأوا خاصتهم على الخوض في أمور الدين فقاوم ذلك في الامراء أنفسهم غير مبالين بسطوتهم وظلمهم قال ابن أبي حسان لمناظر له استنصر بالأمير في المجادلة: "ما للملوك والكلام في الدين؟" فغضب الامير ثم حاول أن يفحمه فقال له: "من أتى السلطان فهو مثله"، فأجابه ابن أبي حسان : "انما أتاكم الاتي لأنكم خير ممن هو شر منكم، ولو اتى من هو خير منكم أتاه الناس ولم يأتوكم"[2].

أما الامام سحنون فكان في ذلك شديدا غير هياب للملوك، لا يقضي لهم امرا ولا يجيبهم عن مسألة، حتى صاح فيه ابن عبدوس : "اخرج من بلد القوم! أمس لا تصلي خلف قاضيهم واليوم لا تجيب في مسألتهم"، فقال سحنون : "أجيب رجلا يتفقه بالدين؟ لو علمت أنه يقصد الحق أجبته بمثل هذه الجرأة كان يتحدى زيادة الله الاول ويقاوم زيغه وربما كان موقفه هذا سبب امتحانه فيها بعد من طرف أحمد بن الاغلب الذي أخذ الناس بالمحنة بالقران، وقد سبق ذكر ذلك، وهذه بعض مواقفه قبل توليه القضاء، أما في أيام قضائه فقد انتقم لنفسه وللدين[3]، فأقصى أهل الاعتزال وغيرهم من اهل الاهواء عن الجامع، وضيق عليهم تضييقا شديدا، حتى خفتت أصواتهم، وكاد يندثر أمرهم بانتهاء أمر ابن أبي الجواد، الذي كاد له المكائد، وامتحنه وأوغر صدر الامير عليه، فشاءت الاقدار أن تكون نهايته على يد سحنون[4]، ومن المفيد هنا أن نسجل امتحانه لإمام آخر جليل القدر ألا وهو أبو جعفر معاوية الصمادحي، فقد امتحنه بالمحنة المعروفة، فأجابه بأفظع جواب، قال له:"سمعت فلانا وفلانا...يقولون: من قال :القرآن مخلوق فهو كافر"، فقال له ابن أبي الجواد :"لقد أعمى الله قلبك كما أعمى بصرك"، وكان هذا إذ ذاك قد كف بصره.

---

[1]- عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 112 .

[2]- المرجع نفسه، ص 113 .

[3]- المرجع نفسه، ص 113.

[4]- المرجع نفسه، ص 113 .

والاعتزال ما كان يكتب له الظهور والانتشار بأفريقيا لولا وجود بعض الاقوام قدموا من الشام ومن العراق خصوصا مع الولاة وفي ظروف مختلفة، فاحتلوا الوظائف الادارية والعسكرية وسواها من المصالح العليا في الدولة. هؤلاء جميعا كانوا من الأسر العراقية التي تنتسب من بعيد أو قريب الى الجنس الفارسي، الذي كان بإفريقيا مثلما كان بالمشرق محرك الحياة العقلية.

أمر هذه النظريات عبارة عن أرستقراطية فكرية تلقتها فئة من خاصة الناس والعلماء بإفريقيا عرفوا بالجرأة والتحرر الفكري فعملوا على نشرها مشجعين من قبل أولي الامر ومؤيدين ظهر الاعتزال على أيدي هؤلاء فوقف منه أهل القيروان وافريقيا[1] موقف اللامبالاة لأسباب منها أن دعاته ليسوا من الشعب بل هم من النخبة وبين هؤلاء وأولئك حواجز تمنع أن ينشا بينهم انسجام أو مؤالفة وثانيها أن هذه الآراء وهي دخيلة على الاسلام عسير على العامة من اهل البلاد فهمها وهم من تعلقوا بالسنة وتشبثوا بالعقيدة الواضحة النابعة من ظاهر القران الكريم والحديث الشريف لكن موقف اللامبالاة عندهم قد تحول الى نفور فسخط ومقاومة لما شاهدوا أيمتهم وقادتهم من فقهاء المالكية يقفون من هذه النظريات موقف الخصم الشديد والمقاوم العنيد تدفعهم الغيرة على الدين وحفظ السنة وصيانة العقيدة البسيطة الخالية من المركبات و التعقيد [2].

لعل أهم الائمة الذين عرفوا بمقاومة هذه الظاهرة الطارئة على الحياة العقلية الدينية هو البهلول بن راشد كان لها بالمرصاد فكافحها ليس لدى أصحابها فحسب بل في أتباعه ومريديه ويظهر ذلك في مواقفه الصارمة من أصحابه الذين يمرون بمجالس أهل الاعتزال أو يبادلونهم التحية[3]

وقد سبق عرضا ما كان له من شأن مع الامام سحنون ومحمد بن الحداد وهو وان بدا شديدا في مواقفه فليس ذلك عن بغض لأصحاب البدع انها هو كره للبدع نفسها ومقاومة لها في صرامة وهذا شأن المصلحين الذين يكرهون الرذيلة فيحاولون تهجينها لدى الناس وتصوير ما ينجز عنها من عواقب وخيمة عسى أن ينتهوا عنها فلقد كان ال يرفض من عرف بآرائه الاعتزالية ولا يصافحه الا أذا رجع عن رأيه ولا يرد على واحد منهم تحية الا من بعد أن يستتيبه .... وتكفي الاشارة في

[1]- عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 107.

[2]- المرجع نفسه، ص 107.

[3]- المرجع نفسه، ص 108.

ذلك الى موقفه من أبي محرز لما جاءه محييا لقد استوقفه وقال له "لعلني لا أصافحك حتى ترجع عن رأيك"[1]

هكذا كان شانه مع أبي محرز ومع غيره ممن مالوا الى الاعتزال فهم في نظره رصيد ينبغي الحفاظ عليه وهدايته وتجنييه كل ما يبعد به عن الاسلام بمفهومه الافريقي المحافظ، لا ينبذه ومعادته بل بمحاربة الافكار التي تكتنفه والاهواء التي تستبد به.

ونذكر الى جانب البهلول بن راشد الامام علي بن زياد المشهور بعلمه وفضله وشدته على أهل البدع فقد كان يحق شأن أبي محرز ويضايقه ويحرجه لميليه الى الاعتزال زار علي بن زياد القيروان فاجتمع اليه العلماء للترحيب به ومن جملتهم أبو محرز فلما سلم عليه أعرض عنه ابن زياد ولم يرد على تحيته بما يليق ومربه يوما علي بن زياد أن يقيله الا اذا تاب عن بدعته[2].

أما في عصر الاغالبة فقد كانت المواجهة شديدة بين فقهاء المالكية والمعتزلة من فقهاء الأحناف الذين كانوا مدعومين من قبل بعض الامراء الاغالبة بالإضافة الى مقاومتهم لأهل الاهواء والبدع الاخرين الذين كثر عددهم في هذا العصر

فبينما الفقيه المشهور يحي بن سلام يملا لبلاد فقها وحديثا وتفسيرا كما ذكرنا من قبل يفاجأ بأنه قد اتهم بالإرجاء أي الميل لمبادئ المرجئة ويفاجأ كذلك بوقوف زملائه الفقهاء ضده موقفا عدائيا فيحزنه ذلك ويقسم أشد الايمان بانه ما عبد الله على شيء من لإرجاء قط ويستغرب كيف صدق الفقهاء عند ذلك وهو الذي كان يحد ثم عنه أنه بدعه[3]

ولم يكن فقهاء المالكية بأفريقية وحدهم الذين وفقوا ذلك الموقف العدائي من يحي بن السلام وانما كان فقهاء المالكية بمصر مثل عبد الله ابن وهب وغيره يقفون ذلك الموقف منه وعندما تبين لهم حقيقة موقف يحي ين سلام زال غضبهم منه وعندما تبين لهم ورفعوا عنه العزل ان جاز هذا القول وذلك بعد ما وثقوا من أن رأي يحي بن سلام في مسألة الايمان قد نقل عنه محرفا

[1]- عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص 108.

[2]- المرجع نفسه، ص 109.

[3]- يوسف بن أحمد حواله، المرجع السابق، ص 13.

أما الفقيه المالكي المبرز: أسد بن الفرات المتوفي حسبما عرفنا عام 213هـ فقد كان شديدا مع اهل البدع والمذاهب الكلامية وخاصة المعتزلة وقضيتهم الاشهر وهي خلق القرآن فمما حفظ عنه أنه كان يسفه أراءهم في هذه الاخيرة[1] من أنه واجه معتنقي ذلك الرأي من الفقهاء الأحناف بالعنف والغريب أن مع موقفه يرمي بالقول بخلق القران مما جعل سحنون بن سعيد ينتقض وينفي ذلك بشدة ويقف معاصره عبد الله بن أبي حسان الحصبي المتوفي على الارجح عام 227هـ من قضية خلق القرآن مواقف شديدة ومن ذلك موقفه من أحد فقهاء الأحناف في حضرة الامير الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب (223-226هـ) حس أنه كان يغضب الامير بصراحته الشديدة[2]

وتتوالى مواقف فقهاء المالكية ضد القائلين بخلق القران والارجاء وغير ذلك من القضايا حتى أننا نرى فقيها مالكيا معروفا وهو عون بن يوسف الخزاعي توفي 239هـ يستفتي رجل من القائلين بخلق القران فقال لسائليه ان وجد ثم من يكفيكم مؤونته فلا تقبروه فسكتوا ثم سألوه ثلاثا كل ذلك يجبيهم بمثله فقالوا :لا نجد فقال: اذهبوا فواروه من أجل التوحيد ومهما كان في فعل عون هذا من رأي فإننا لم نورد ذلك الا لتوضيح ماهية العلاقة بين فقهاء المالكية وأهل المذاهب الكلامية[3].

-أما الفقيه الابرز والاشهر على الاطلاق :سحنون بن سعيد المتوفي 240هـ فقد كان القدوة في المواقف المتشددة مع المعتزلة وأهل البدع والاهواء وقد حمد له المؤرخون مواقفه تلك وأكبرها وفي الحق لقد تعددت مواقفه فمن مواجهة شديدة وتفريع الى مقاطعة وصد الى مناظرات علمية ولعل أشهر مواقفه[4].

فقد ترك صلاة الجماعة في جامع القيروان لان الامام به كان أحد القائلين بخلق القران وكادت السياط أن تلهب ظهره عندما رفض الصلاة وراء القاضي المنفي عبد الله بن أبي الجواد الذي شكاه الى الامير الاغلبي محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب (226-242هـ) فأمر الامير بضربه

[1]- أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وعبادهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، ج1، تح حسين مؤنس، ص 81.

[2]- المالكي المصدر السابق ص 201.

[3]- يوسف أحمد حواله، المرجع السابق، ص ص 15- 16.

[2]- المرجع نفسه، ص: 16.

خمسمائة سوط لو لم يتخل وزيره فيمنع ذلك بحسن تدبيره ولقد تعرض في عهد هذا الامير أيضا لمحنة طويلة بسبب مسألة خلق القرآن وقد ناظر فيها القاضي الحنفي ابن أبي الجواد الى درجة أن الأمير أمر بقتله لو لم يتدخل وزيره في الامر أيضا[1].

المبحث الثالث: علاقة الاباضية بالمعتزلة

1- علاقة التأثير والتأثر بين كل من المعتزلة والاباضية:

كان انتشار عقائد المعتزلة في المغرب الاسلامي نتيجة عوامل أعانت هذه الأخيرة على التوسع والانتشار، فقد تبنى بعض الخلفاء هذه العقائد خاصة في عهد العباسيين إلى جانب ذكاء ودهاء زعماء المعتزلين وقدرتهم الكلامية حيث نلاحظ بأن فرقة المعتزلة أثرت على الكثير من الفرق والجماعات، من أبرز تلك الفرق هي فرقة الاباضية حيث تعود علاقة الاباضية بالمعتزلة إلى اللقاء الأول الذي حصل بين هاتين الفرقتين من طرف كل من واصل بن عطاء وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة حتى يناظره ويحاول التأثير عليه كما أن الاباضية يقرون في كتبهم بتأثرهم بالمعتزلة[2].

أهم المسائل التي اتفق عليها المعتزلة والاباضية هي :

أ-تقديم العقل على النقل في الاحتجاج والمعتزلة هم أهل هذا المبدأ في الاسلام حيث أقروا بان العقل هو أساس التحصيل ورأس أدلة الشرع أي أن كل ما يتوافق مع العقل في أدلة الشريعة بمعنى استخدام العقل في النصوص الشرعية.

ولقد عملت الاباضية وركزت كل التركيز من خلال الاهتمام بعلم الكلام حيث جعلته أساس الدين[3] ويقول أحد علماءهم.

في سياق هذا الحديث يقر فيها عن فائدة علم الكلام الترقي من نضيض التقليد الى ذروة الايقان وارشاد المسترشدين بين بإيضاح الحجة والزام المعاندين بإقامة الحجة وبناء العلوم الشرعية فانه

[1]- المالكي، المصدر السابق ،ج1، ص 266

[2]- عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، ط1، دار الاندلس الخضراء ،جدة، السعودية، 1421-2000م ،ص 331 .

[3]- المرجع نفسه، ص 338-339 .

أساسها وعليه يؤول أخذها واقتباسها وصحة الاعتقاد والنية وقيل أيضا: علم الكلام أشرف الامور وأعلاها التي يحكم بها مربع العقل وقد تايد بالنقل.[1]

ب-عدم الاخذ بأخبار الاخاذ وموقف المعتزلة من هذه القضية معلوم فهم لا يأخذون به في أصول الدين والاباضية وافقت المعتزلة في هذا الطرح.

ج-نفي صفات الله عزى وجل والاباضية يرون أن صفات المولى هي ذاته وان الاسم والصفة بمعنى واحد[2] حيث أنهم نفوا صفة الكلام في ضمن ما نفوا أنكروا أن يكون الله عزى وجل متكلما وما ورد في القرآن الكريم من اسناد الكلام اليه سبحانه في مثل قوله تعالى "وكلم الله موسى تكليما"[3]، حيث أولو ما ذكر في القران على أنه وصف الذات العلية وليس وصف لها حيث أن الاباضية وافقت المعتزلة في هذا الطرح.[4]

د-خلق القران مسألة خلق القران من بين الآراء المشتركة بين الاباضية والمعتزلة التي تعد من بين المواضيع الاساسية التي كانت تقام في المناظرات[5]، وهذا ما أكده **"الفريد بيل"** في اشتراك الاباضية مع المعتزلة في هذه الأخيرة .[6]

هـ-نفي رؤية الخالق عزى وجل هذا ما قالته المعتزلة فهم يقولون بأن الخالق سبحانه وتعالى لا يمكن لنفس البشرية أن تراه حيث أننا نلاحظ بأن الاباضية والمعتزلة كنتا متوافقتان الى حد كبير في أغلب المسائل.[7]

و-مسألة القدر ,حيث نلاحظ هنا بأن المعتزلة أثرت على الاباضية في هذه الاخيرة "مسألة القدر".

---

[1]- عبد اللطيف ين عبد القادر، المرجع السابق ،ص 339

[2]- ناصر عبد الكريم العقل، الخوارج أول الفرق في تاريخ ، ط1 ،دار اشبيلية للنشر والتوزيع ،الرياض ، 1998 ص 78 .

[3]- سورة النساء، الآية ،164 .

[4]- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ص 157.

[5]- المرجع نفسه، ص 70

[6]- ألفريد بل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح لعريب حتى اليوم، تر عبد الرحمن بدوي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1969م، ص 143 .

[7]- ناصر بن عبد الكريم العقل، المرجع السابق، ص 78 .

ز-مسألة الميزان هنا الاباضية أخذت عن المعتزلة حيث أن المعتزلة تنكر حقيقة الميزان و يتأولونها بالعدل والقضاء هنا نلاحظ عامل التأثير والتأثر كان كبير الى حد ما بين الاباضية هي المتأثر".[1]

-وهنا نلاحظ من خلال عرضنا لهذه النقاط السبع السابقة الذكر هي أبرز ما تأثرت به الاباضية بالمعتزلة لكن هذا لا يعني بأنه لا يوجد نقاط لم يتوافق فيها ولم يتأثر الاباضية بالمعتزلة وكانت كل منهما وأراءه الكلامية فيه.

لقد كان وجود المعتزلة قريبا من حاضرة تاهرت ،مع العلم بان المذهب الإباضي كان متزامنا والمذهب الاعتزالي في دخوله الى بلاد المغرب في حوالي القرن الثاني هجري الثامن ميلادي ،[2] كان له الاثر البالغ في وجود أداء مشتركة بين المذهبين المعتزلة والاباضية وتعد مسألة خلق القرآن من أهم المواضيع وأبرزها التي كانت تقام في المناظرات[3].

2- موضوعات اختلاف المعتزلة والاباضية :

رغم اتفاق المعتزلة والاباضية في جل المسائل إلا أنه حدثت بينهما اختلافات معتبرة، نورد منها :

أ-مسألة مرتكب الكبيرة فان اباضية المغرب قالت أن صاحب الكبيرة كافر كفر نعمة أو كفر نفاق فهو اذا في منزلة بين منزلتي، الايمان والنفاق، و النفاق عندهم هو الشرك ،والمعتزلة ترى خلاف هذا فهم يرون بان صاحب الكبيرة فاسق وبين منزلتي الايمان والكفر، لكن هذا الخلاف لم يكن كبير بحيث أن كليهما يحكمان على صاحب الكبيرة بأنه خالد مخلد في النار.[4]

ب-مسألة القضاء والقدر تعد من أبرز المسائل التي اختلفوا فيها ،فالإباضية رأت في القضاء أنه ارادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فإرادته، لا حدود له في الازل وان كل شيء داخل تحت قضائه تعالى لان قضائه سابق للأشياء، وهذا لا يتعارض مع ارادة العبد في اختيار أعماله فأعمال العبد مكتسبة له، والله عزى وجل هو الذي يقضي ويقرر لنا القدر كيف يشاء خيرا او شرا و هذا

[1]- عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، المرجع السابق، ص ص 375-384.

[2]- محمد منصور، الزاوي الحضارة الاسلامية بين تخريف أبناءها وتحريف أعدائها، دط، 1990، ص 38.

[3]- ألفريد بل، المرجع السابق، ص 143

[4]- عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، المرجع السابق، ص 331 .

على خلاف المعتزلة الذين يرون بان العبد هو المسؤول عن قدره خيره و شره و هذا ناتج عن افعاله و ان الله سبحانه وتعالى لا يكتب لنا الشر والقول بهذا أكفر ومعصية[1]

3- الصراع بين الاباضية والمعتزلة في جبل نفوسة:

ذهب الأمر بتلك الاختلافات إلى حد أكبر حتى بلغ إلى صراعات تمثلت في أمرين مهمين هما:

أ-بدأ المذهب الإباضي في شمال افريقيا[2]يشهد انفتاح وحرية في التعبير خاصة وهذا يظهر جليا في عهد عبد الوهاب بن رستم* في الدولة الرستمية من خلال المناظرات الكلامية مما جعل من واصلية المغرب الاوسط يتفوقون على الامام عبد الوهاب بن رستم رغم محاولاته.

وتسبب ذلك بوقوع عدة معارك بينهما وبذلك اضطر الامام عبد الوهاب أن يطلب الاستعانة من أهل جبل نفوسة طالبا منهم أن يمدونه بجيش من العلماء المتمكنين من التفسير، والفرسان المحنكين ذوي الخبرة العسكرية وقد وقع الاختيار على هؤلاء الاربعة :أيوب بن العباس ،فهو الفارس الشجاع والبطل المشهور المكلف بمبارزة الفتى الواصلي ،ومحمد بن يانس بالتفسير ،والمهدي لويغوي الذي اختص بعلم الكلام ،وأبو الحسن الابدلاني بالفقه، وعندما وصل الوفد امر الامام باستقبالهم في دار الضيافة ليرتاحوا[3]، ولما أخذوا قسطا من الراحة بعد سفرهم اجتمع بهم كل واحد منهم بمهمته ووعدوه بالوفاء فاكتسبوا ثقته ثم عرض على الامام ما جرى بينه وبين الفتى الواصلي من محاورات ليكون على بينة وبصيرة واطلاعا بمناظرته ،وكان مهدي الويغوي "كلما رأى خطأ في كلام المعتزلي قال: هنا حاد عن جادة الصواب، وزاغ عن الحجة وسفسط وكان من الصواب أن تجيبه يا أمير

---

[1]- كارلو ألفونسو نيليلينو، الصلة بين مذهب المعتزلة والاباضية المقيمين في افريقيا الشمالية في التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، تر عبد الرحمان بدوي، د ط، كتب النهضة المصرية، مصر، ص 207 .

[2]- عمرو خليفة الناهي، دراسات في الاباضية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص 109.

* - عبد الوهاب بن عبد الرحمن 171 208هـ ثاني الائمة الرستمية، أنظر أخبار الائمة الرستميين لابن الصغير، تح محمد ناصر، تع ابراهيم بحار ،د ط ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ،1926، ص 43.

[3]- مسعود مزهودي، جبل نفوسة من انتشار الاسلام حتى هجرة بين هلال الى بلاد المغرب،د ط، مؤسسة تاولات الثقافية، دت، ص ص 122 123.

المؤمنين بكذا أو كذا "وبذلك أطلع مهدي الامام على الاخطاء التي وقع فيها المعتزلي ولم ينتبه اليها فعرف المهدي أسلوب المعتزلي من خلال المناظرة.[1]

وكيف كان يحيد عن الجواب وهنا ايقن وتأكد الامام عبد الوهاب بأن هذا الأخير وأصحابه سينال من المعتزلي.

حيث نادى الامام عبد الوهاب في القبائل للاجتماع وفتح باب المناظرة وضرب موعدا مع الواصلية بعد ثلاثة أيام وبعد انتهاء المدة خرج الامام عبد الوهاب بعساكره ومعه رجال نفوسة وتم اللقاء فعاد هذا الاخير" الامام عبد الوهاب" المعتزلة مرة أخرى الى الطاعة فأبوا وطلبوا المناظرة فنادى مناديه بالحضور الى المناظرة والمبارزة فاصطف الطرفان وخرج مهدي النفوسي لقدرته على الرد والمناظرة،[2]

ب-بدأ النقاش بسيط لكن سرعان ما تحول هذا النقاش الى صراع فعظم التقتيل وكان بطلا هذه المعركة أفلح بن عبد الوهاب وأيوب بن العباس وانتهت المعركة بانهزام الواصلية حيث استسلموا وأوفروا الطاعة التامة للإمام وعاد الامام الى حاضرة ملكه بعد أن انتهت الحرب ولم يبق من المعتزلة الا العدد القليل [3]

وفي الاخير نستنتج بأنه رغم التوافق الذي كان بين الاباضية والمعتزلة لكن هذا لم يمنع بوجود اختلاف في بعض النقاط غير أن الغلبة كان في النهاية للإباضية فكسرت شوكة المعتزلة وظلوا ما بين مهاجر الى المغرب الاقصى أو باقي في تاهرت إلى أن حل الضعف بالإمامة الرستمية فعادوا الى الحرب الكلامية مع المعتزلة[4] .من خلال المناظرة حيث تبين عجز المعتزلي على المناظرة على عكس الإباضي الذي كانت له الغلبة في هذا المجال والدور البارز الذي لعبه أفلح بن عبد الوهاب في هذه الحرب حيث أستخلف كإمام للدولة الرستمية.

[2]- مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 124.

[2]- المرجع نفسه، ص 124.

[3]- المرجع نفسه، ص 26.

[4]- ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح تع :محمد ناصر وابراهيم بحاز، دط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص ص 93 94 .

الفصل الثاني: السلطة المرابطية وموقفها من علم الكلام

المبحث الأول: موقف الفقهاء المرابطين (المالكية) من علم الكلام.

المبحث الثاني: تطور علم الكلام في الأندلس الى الفلسفة الإسلامية.

المبحث الأول: موقف فقهاء المرابطين من علم الكلام

1- دولة المرابطين:

قامت دولة المرابطين في بلاد المغرب الاسلامي على دوافع دينية، إذ وضع مؤسسوا الدولة هدفا لهم وهو العمل على إصلاح المجتمع، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد ساروا على مذهب الإمام مالك، وهو المذهب الذي ارتضاه المغاربة إذ جعل المرابطون همهم محاربة السلبيات والعمل على إعادة أفراد الشعب إلى حياة مجتمع المدينة في أول عهد الإسلام[1].

وكانت أهم الأعمال التي قامت بها دولة المرابطين كما يلي:

-فقيام هذه الدولة كان على أسس إسلامية سليمة في نهجها لمذهب أهل السنة و الجماعة، إذ لم تتأثر بأي نزعة دينية أخرى، فكان هدفها هو الجهاد في سبيل الله آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر[2]، و هكذا قامت دولة المرابطين على فكرة الجهاد والإصلاح الديني، و كانت صادقة في حركتها لوضوح الحرارة في نفوس المرابطين اللذين قاموا بها، واللذين اعتبروهم " الفقهاء" سمات الدولة، فكان لهم الشأن الكبير فيها، إذ كان الرأي الدين أثر في توجيه سياسة أمرائها و حكامها[3]، فقد حضي العلماء و الفقهاء بمكانة عظيمة في ظل دولة المرابطية، حيث أن أمراء هذه الأخيرة قاموا بتقريبهم إليهم فارتفع شأنهم، إذ كان علي بن يوسف لا يقطع أمر في جميع مملكته دون مشاورتهم فكان إذا أولى أحد من قضاته كان فيما يعهد إليه ألنا[4]يقطع أمرا و لا يبين حكمه في صغير من الأمور إلا بحضور أربع من الفقهاء فبلغوا في أيامه مبلغا عظيما[5].

---

[1]-محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص95.

[2]- علي الصلابي، دولة الموحدين (صفحات في التاريخ الاسلامي) ، دار البيارق للنشر ،عمان ،1998 ،ص18.

[3]-مراجع عقيلة العناي، قيام دولة الموحدين، ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، 2008، ص49.

[4]- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية: تح: أبي بكر العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1988، ص133.أنظر السيد عبد العزيز سالم غانم، تاريخ المغرب الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دت، ص652.

[5]-دندش عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص133.

كما بلغت مكانتهم الشأن العظيم عند أمير المسلمين لدولة المرابطين يوسف بن تاشفين[1]، حيث خصص لهم مرتبات في تصرف الدولة إذ كانوا أصحاب الكلمة النافذة في تصريف شؤنها كما جعلوا من الشورة أساس لحكمه في المغرب و الأندلس[2].

ونتيجة للمكانة والنفوذ التي حضي بها الفقهاء و العلماء في ظل الدولة المرابطية، جعلهم يفرضون نطاقا جديدا على الأفكار ومنعوا الناس و أحرار المفكرين من الخوض في غير علم الفروع، و هو ما يختص بالعبادات و المعاملات" كما فرضوا أنفسهم سلطة توجه أمير المسلمين في أي اتجاه شاءت وأي طريق أرادت حتى أنهم استطاعوا أن يفرض على أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين[3]، بأمر إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في المساجد والمدن والأسواق وأن تمنع جميع الكتب التي تخوض في علم الكلام[4].

-لما كان المؤسس الروحي لدولة المرابطين فقيها مالكيا، ازدادت تلك البنية الثقافية توطدا بما أصبح لها من السند السياسي، و أصبح كافة الناس يحملون على السلفية في العقيدة و المالكية في الفقه بتوجيه من الفقهاء الذين كانت لهم السلطة في تقرير النمط الثقافي الذي ينبغي أن يسود[5].

و قد أدى الانغلاق على الفقه المالكي الى إيثار كتب الفروع المؤلفة في المذهب بع مالك، و الاكتفاء بها عن أصولها من أثار مالك نفسه بل له الرجوع الى أصولها من نصوص القرآن و الحديث، فساد بذلك و استحكم في الفكر الشرعي يقوم على التقليد باعتماد الأقوال و التفريعات التي أثرت عن أتباع الإمام مالك منهم ابن القاسم، و ذلك بإهمال النظر في الأصول النصية لاستنباط أحكام

[1]-السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص652.

[2]-محمود السيد، المرجع السابق، ص97.

[2]- علي بن يوسف بن تاشفين المتوفي أبو الحسن، أمير المسلمين بمراكش ولد بسنة و بويع بع وفاة أبيه سنة 500هبعهد منه مولده سنة 477هـ وفاته 537هـ بمراكش و حكمه دام 36 سنة 2 أنظر: خير الدين الزركلي. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعمرين، مكتبة نخانخي، القاهرة، ط2، 1990، ج5، ص33.

[4]- مراجع عقيلة العناني، المرجع السابق، ص50.

[5]-عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية واثره في المغرب،ط1،دار الغرب الاسلامي، 1983 ،ص52.

مناسبة لمختلف النوازل المستجدة[1]. و هذا ما أكد عليه المراكشي في قوله" ولم يكن يقرب من أمير المسلمين و يحض عنده إلا من علم الفروع أعني فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها و نبدأ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتنى بها كل الاعتناء"[2] .

وكما كان هذا المنهج الفروعي حائلا دون الاعتناء بالأصول النصية ،فقد كان حائلا أيضا دون الاعتناء بالعلوم التي من شأنها أن تنمي الملكة الفقهية المتحررة. مثل: علوم أصول الفقه، و علم الخلفيات القائم على المقارنة بين المذاهب، بل كانت هذه العلوم تلقي المعارضة الشديدة قبل سياسة المرابطين الثقافية، فقد ذكر أن أبا الفضل، و هذا ما أكده أبا الفضل.

ولم يكن الفكر العقدي في العهد المرابطي فقد ذكر أن أبا الفضل بن النحوي ت513هـ، حيث دخل سجلماسة إنتصب لتدريس علم أصول الفقه، فمر به أحد رؤساء البلد فقال: ما العلم الذي يقرئه هذا ؟ فأخبره، فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوما لا نعرفها، و أمر بإخراجه.

2- فقهاء المرابطين وعلم الكلام:

لم يكن الفكر العقدي في العهد المرابطي أكثر إنفتاحا من الفكر الشيعي بل كان متأثرا به في الإكتفاء بالصور التي أثرت عن السلف إمرار للنصوص على ظواهرها على نحو ما قرره مالك بن أنس في قوله: «الإستواء معلوم، والكيف مجهول و الإيمان به واجب، و السؤال عنه بدعته»[3]. ورفض لكل تأويل أو إستدلال عقلي على حقائق العقيدة، و لذلك كانت المقاومة شديدة لعلم الكلام وأهله[4]. و هو ما صورة المراكشي حيث بين الكره الشديد و العداء البارز لكل من يخوض في علم

[1]- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 52.

[2]-عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، دط، ص236، طبعة المجلس الاعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963، ص236.

[3]-عبد المجيد النجار، تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط2، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، 1995، ص50-51.

[4]-نفس المرجع، ص51.

الكلام من طرف الفقهاء و هذا من خلال قوله « وان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، و يقرر الفقهاء عن أمير المسلمين تقبيح علم الكلام و كراهية السلف له، و هجرهم من ظهر عليه شيء منه، و أنه بدعة في الدين، و ربما أدى أكثره الى اختلال في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال حتى إستحكم في نفسه بغض علم الكلام و أهله، فكان يكتب عنه في كل وقت الى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، و توعد من وجد عنده شيء من كتبه»[1].

فالفقهاء المرابطين كانوا يقومون على حجز أفكار الناس و محاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك. و عملوا على منع بقية المذاهب السنية تعصبا لمذهبهم و منه رفضهم الشديد لعلم الكلام[2].
وفي غياب الفكر العقدي الموصل لمسائل العقيدة، لجامع بين ما تبدو في ظاهره متنافرا من الآيات، المفسر لما ورد من الصفات الخبرية، ربما تكون قد تمت بعض الأفهام العقدية في اتجاه التجسيم والتشبيه خاصة بين أولئك البدو الذين لم يحظو بثقافة دينية متينة، و هو ما أشار إليه ابن حوقل في وصفه لأهل السوس إذ يقول « و المالكيون من فظاظ الحشوية» و إذ كان وصف أهل المغرب خاصة بأنهم من المشبهة المجسمة يعد من مبالغة الموحدين ،فإن من الثابت أن الفكر العقدي في العهد المرابطي، كان يقوم على منهج الأخذ بظواهر النصوص وحرفيتها والعزوف عن التأويل والإستدلال[3].

وقد كان الفكر الفلسفي يلاقي بالمغرب من النكير والرفض والمقاومة أكثر مما يلاقيه الفكر الكلامي إستمدادا في ذلك مما كان من العداء البالغ بين مالك وأتباعه و بين المنتحلين للعلوم الفلسفية،و قد بلغ عداء أهل المغرب للفلسفة أن « كانت العامة في المغرب و الأندلس كلما قيل فلان يشتغل بالفلسفة أطلقت عليه اسم زنديق، فإن زل في شبهة رموه بالحجارة أو أحرقوه» ولا شك أن هذه الروح كانت بتوجيه من الفقهاء الذين كانوا في عهد المرابطين على الخصوص[4].

[1]-عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص236-237.
[2]-علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند المراطبين،ط1 ،مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 2006، ص211.
[3]-عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية واثره في المغرب ،المرجع السابق، ص53.
[4]-نفس المرجع، ص 53.

ثم إن علاقته المرابطين بالموحدين لم تكن على أحسن حالها و يعود ذلك الى العداء الذي كان يحمله ابن تومرت اتجاه الدولة المرابطين.

وذلك بسبب رفض المرابطين لشعار الذي جاء به ابن تومرت الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، بنفوذ الغزالي لأنه يعلق على هذه النظرية « أهمية قسوة و يصفها كما تقدم بالقطب الأعظم للدين»[1].

3- المهدي بن تومرت وفقهاء المرابطين:

لذلك رأى أمير المسلمين أن يناظر الفقهاء هذا الرجل، فكان فقهاء المرابطين يحقدون على المهدي بن تومرت، لاعتناقه مذهب الأشعرية، و ما يملي به من تأويل متشابه ولحملته عليهم، وإنكاره لجمودهم إزاء مذهب السلف و إقراره كما جاء، و ذهابه الى حد تكفيرهم.

فأغرو الأمير لاستدعائه للمناظرة معهم و قبل ابن تومرت هذ التحدي وأبدى في مناظراته لفقهاء المرابطين تفوقا ظاهرا[2]فنجح في مهاجمة المرابطين الذين ساروا على منهج أهل السنة و الجماعة بحيث اتهمهم بالتجسيم و الكفر لأنه في زعمه يضيفون صفات بشرية و مادية على ذات الله فاستطاع ابن تومرت عن طريق هذا المنفذ أن يظهر المرابطين كمجسمة كفار في أعين رعيتهم، مما دفع الكثير من هذه الرعية بأن تنفض يدها منهم، و تبتعد عنهم كما أنه اتهم من يخضع لهم و يدين بالطاعة لهم بموافقتهم على الكفر[3].

أهم ما ساعد ابن تومرت في تفوقه على المرابطين و ما ورد في المناظرة في كتاب أعز ما يطلب، الذي دونه الخليفة عبد المؤمن بن علي عن إملاء ابن تومرت و ملخص ذلك أن المهدي طلب الى مناظريه أن يختاروا من ينوب عنهم لمناظرته ،فقدموا من اختاروه فكان مما سألهم المهدي حيث قال لهم هل طرق العلم منحصرة أم لا؟[4].

---

[1]-محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ص169.

[2]-نفس المرجع، ص170.

[3]-محمد الصلابي، دولة الموحدين(صفحات في التاريخ الاسلامي) ، المرجع السابق، ص50.

[4]-محمد عبدالله عنان، المرجع السابق، ص170.

فأجاب مقدمهم المذكور نعم هي منحصرة في الكتاب و السنة و المعاني التي نبهت عليها، فقال المهدي إنما السؤال عن طرق العلم هل هي منحصر أم لا. فلم تذكر إلا واحدة منها و من شرط الجواب أن يكون مطابقا للسؤال، فلم يفهم مناظره قوله و عجز عن الجواب ثم سألهم المهدي عن أصول الحق و الباطل ماهي فعاد مناظره الى جوابه الاول فلما رأي المهدى عجزهم عن فهم السؤال وعجزهم عن الجواب شرع يبين لهم اصول الحق والباطل ، فقال إنها أربعة و هي « العلم، و الجهل والشك و الظن»[1]. ثم أخذ يشرح ماهية كل منها في كلام طويل.

و كان جل من حظر ذلك المجلس من الفقهاء المرابطين و علماء الفروع ليسوا على معرفة بعلم الأصول.

أخذ ابن تومرت يسخر كل كلمة في المناظرة، لتصوير فساد الأوضاع في الدولة المرابطين، فأوضح ان الخمور تباع جهرا نهارا و أن الخنازير تمشي في الشوارع ،و أن أموال اليتامى تؤكل، و يبين أن الذي يتحمل المسؤولية هم حاشية أمير المسلمين بإخفاء تلك الأوضاع عنه[2].

و لقد استطاع ابن تومرت أن يتفوق على المرابطين، بعد عجزهم عن الإجابة في هذه المناظرة، إذ وضح ما عجزوا عنه (بأسلوبه) و هكذا انتهت المناظرة لصالحه[3].وما انتقده ابن تومرت لدى المرابطين هو المجال العقدي ،الذي كان على الطريقة السلفية في الاعتقاد، و الإيمان بحقائق العقيدة في صورتها البسيطة عن السلف و إمرار النصوص على ظاهرها دون التعرض للتأويل[4] لكن المرابطون كانوا على طريقتهم المتمثلة في أهل السنة و الجماعة [5]إذ أن الفقهاء المرابطين لم يولون أي اهتمام لدراسة الحديث بحيث أنهم كانوا ينصرفون عنه و لا يرجعون الى الأصول لكي يستنبطون منها الأحكام ،و لا يتخذونها مادة للدراسة ،و إنما اكتفوا بتلك الأحاديث المجموعة في كتب الفروع و جعلوها مرجئهم الوحيد من غير تحفظ إذ يعلق الأستاذ ليفي بروفنسال على ذلك بقوله و كان من أثر هجل الفقهاء

[1]- محمد عبدالله عنان، المرجع السابق، ص،170.

[2]-محمد علي الصلابي، المرجع نفسه، ص28.

[3]-محمد الصلابي، المرجع نفسه، ص28.

[4]-عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية، الفرد الإسلامي، المرجع السابق، ص43.

[5]-إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب دخولها رجالها تطورها و مواقف الناس منها،ط1 ،دار قرطبة للنشر و التوزيع، ، 2006، ص5.

لدراسة الحديث ،و ما يتصل به من مصادر أن ألغى أصول الفقه الذي تستنبط منه الأحكام قد تكون جديدة ،و قد أدى الاعتماد على الفروع التي تضمنتها كتب المذهب الى تجريد الدراسة من روح الكشف الجذابة و إنساق القوم وراء التقليد، و انصرفوا عن النظر و الاجتهاد، و كان موقف الدراسات الكلامية في موضعه من الجمود المشتهي عند ظهور دعوة ابن تومرت التي كان فيها يناهض المرابطين بأقصى قوة ،خاصة فيما يتعلق بالتجسيم[1].

حيث أبقى المرابطين على ابن تومرت بجملة من الصفات و التي مثلت حملة دعائية لمجابهة أمرائه ضدهم و التي من بينها تكفير الناس، و منعهم الصلاة على أهل القبلة استحلال الحرقي، دم ومال وعرض المسلمين رد المطلقة ثلاثا لزوجها، الخروج عن السلطان.

كما أثار كتاب إحياء علوم الدين للغزالي[*] في بلاد المغرب موجة من الغضب عند فقهاء المرابطين، لأن قراءة الناس لهذا الكتاب كانت شؤما على نفوذهم الهائل، إذ كان الغزالي قد فضح فيه نزعات الفقهاء في دراساتهم الفقهية وحرصهم على الدنيا و طعمهم في الحصول على المناصب الرفيعة وحسدهم للعلماء و الزهاد، ولم يكن العلم في نظرة حرفة كالحرف الأخرى، أو مهنة دنيوية تعود على صاحبها بالربح العاجل وإنما هو عبادة القلب، وصلاة السر و قربة الباطن الى الله تعالى فاتخذ الفقهاء في المغرب قرار أملوه على السلطان على بن يوسف سنة 503هـ و يقضي بإحراق كتب الغزالي في أنحاء دولة المرابطين[2]. و كان من الطبيعي أن يثور أهل المغرب على هذا التصرف، و لكن الفرقة المسيحية التي استعان بها على بن يوسف في المغرب و كان يقودها القائد القطلاني روبرتير كانت تحول دون قيام الأهالي بالثورة، ولذلك نبعت الثورة من مصدر آخر هو ثورة المهدي بن تومرت[3].

[1]–عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص655–657.

[*]– الغزالي هو زين العابدين ابو حامد الغزالي بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي، الشافعي الغزالي،(ت450هـ/505هـ) وقد نسب الى غزالة بلدته التي ولد بها .انظر سعد رستم ،المرجع السابق،ص133–134.

[2]–عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص658. أنظر يحي الهويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، دط، مكتبة النهضة بمصر، 1965، ص201.

[3]–عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص658 .

المبحث الثاني: تطور علم الكلام في الأندلس الى الفلسفة الإسلامية

1- دور الأندلس في نشر علم الكلام:

عرفت الأندلس رواجا فكريا خاصة في الجانب الثقافي، حيث تطور علم الكلام الى أن إلتحم بالفلسفة الاسلامية الى حد كبير، و أصبحت بشكل فلسفة إسلامية ذات سيمة خاصة لاسيما في الجانب الطبيعي و الإلهي، إلى أن أصبح من الصعب فصل علم الكلام عن الفلسفة الإسلامية.

بحيث كان المنطق الإسلامي هو المنهج الذي شيد بواسطته علماء الإسلام مختلف العلوم الإسلامية، و على رأسها النحو و الفقه و علم الكلام، كما أن الأساس المنهجي المنطقي الذي قامت عليه هذه العلوم الإسلامية- النحو والفقه والكلام-هو "القياس" باصطلاح النحاة والأصوليون أو "الاستدلال بالشاهد على الغائب[1] باصطلاح المتكلمين « و هو قياس إنساني معرفي إذ لا يعرف الإنسان مالا يعرف إلا قياسا على ما يعرف، و لا يتصور اللام رئي إلا قياسا على المرئي و بالتالي قياس "ذات الله" على ذات الإنسان، و "صفات الله" على صفات الإنسان و"أفعال الله" على أفعال الإنسان، ويقوم هذا القياس على إثبات علة مشتركة بين الغائب والشاهد حتى يمكن القياس عليها»[2] و من هنا تنحصر مشروعية لقياس في البحث عن قيمة ثالثة تربط بين الشاهد والغائب حتى تمكن الباحث للانتقال من الأول الى الثاني، هذا الرابط هو ما يسميه الأصوليين والنحاة بـ "العلة"[*]، ويسميه المتكلمون ب "الدليل" وهو يناظر الحد الأوسط في القياس الأرسطي[3].

فالمنطق الإسلامي "أي طريقة النحاة والفقهاء والتكلمين لا يهدف الى البحث عن النتيجة كما هو الشأن في القياس الأرسطي، بل كان هدفه البحث عن الحد الأوسط، لأن النتيجة معطاة

---

[1]-عباس سليمان، تطور علم الكلام الى الفلسفة و منهجهما، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص12.

[2]-حسن حنفي، من العقيدة الى الثورة، مكتبة مدبولي المجدل الأول، المقدمات النظرية، ص274.

[*]- العلة عند النحاة و الأصوليين-يقول على شلق، ((ذات موجبة لصفة أو لحكم عنها، أنظر علي شلف، الفعل الفلسفي في الإسلام، الفرق و الأحكام، دار الهدى للطباعة و النشر، بيروت، 1985، ص462.

[3]-محمد عابد الجابري، المدرسة الفلسفية في المغرب و الأندلس (ضمن أعمال ندوة ابن رشد في المغرب الإسلامي)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ص106.

سلفا، وهي الحكم الشرعي الوارد في القرآن أو السنة بالنسبة للفقه، والنص القرآني بالنسبة للمتكلمين وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه إذا كانت مشروعية هذا الاستدلال.

الاستدلال بالشاهد على الغائب واحدة بالنسبة للنحو والفقه والكلام فإن الأساس الذي يبني عليه هذا الغائب- واحدة بالنسبة للنحو والفقه والكلام إن قياس الغائب على الشاهد هو- باعتباره قياس الجزء على الجزء أو قياس الكل على البعض.

لقد بنى الأصوليون قياسهم على قاعدة أصولية عامة هي أن الحكم الشرعي مبني كله على "جلب المصلحة و دفع المضرة"[1]

إن اتفاق النحاة على أساس يبررون به استقراءاتهم، و التزام الأصوليين مبدأ "المصلحة" أساسا لاستنباطاتهم و اجتهاداتهم جعل كلا الفريقين يتجنب نسبيا-السقوط في الخلافات التي لا حصر لها، و التي يوقع فيها عادة قياس الجزء على الجزء أي الغائب على الشاهد- و هذا ما وقع فيه المتكلمون[2].

2- استخدام علماء الكلام للفلسفة:

إن عدم تمكن علماء الكلام من الاتفاق على مبدأ واحد يؤسسون عليهم طريقتهم المفضلة في البحث و المناقشة، طريقة الاستدلال بالشاهد على الغائب " جعل كل واحد منهم ينطلق من تضمين الشاهد ما يحول له قياس الغائب عليه.

ولكن عندما نشأت مشكلات أهل الأديان و المذاهب في القرن الثاني نشأ لدى المتكلمين الأسلوب العقلي في الاحتياج، ذلك أ ن هذه المشكلات كان أهلها من النصارى و المجوس متمرسين بالفلسفة اليونانية و منطقها الصوري[3]

[1]- عباس سليمان، المرجع السابق، ص8.

[2]- المرجع نفسه، ص8.

[3]- عباس سليمان، المرجع نفسه، ص13، ينظر حسن حنفي، التراث و التجديد، ط1، دار التنوير، بيروت، 1982م، ص132.

فاستخدموا هذه الفلسفة للاحتجاج لنصرة معتقداتهم و نقد العقيدة الإسلامية، و لذلك بادر المعتزلة باستعمال الحجة العقلية في مقابلة هذه المشكلات و أصبح هذا الأسلوب الغالب على علم الكلام.

و لقد كان الأسلوب العقلي عند المعتزلة مبكرا قبل أن يصل إليهم منطق أرسطو بل كان علم الكلام حركة طبيعية في تجاوز النص الديني الى المعنى العقلي لاسيما وأن النص بطبيعته يرتكز على العقل ويقم عليه فالعقل، كما ظهر فيما بعد هو أساس النقل[1]

وكان الطبيعي بعد انفتاح المسلمين على ثقافات جديدة ولا سيما على الفلسفة اليونانية، ومنطقيتها، أن يكون لهذا الانفتاح، أثره الكبير في تطوير علم الكلام، فاستخدم المسلمون في مناظرتهم المنطق الصوري و جعلوه في كثير من الأحيان أداة التفكير هم، ومن ثم وجدنا المنطق الأرسطي يتغلغل في معظم العلوم اللغوية و الدينية[2]

ويرى الدكتور أبو ريان:« أن علم أصول الفقه و علم الكلام قد استفاد كثيرا من المنطق اليوناني، وقد ظهرت هذه النزهة المنطقية في النحو و الكلام في مدرسة البصرة وهي أول المدن الإسلامية التي ظهرت فيها بوادر التفكير الحر في العالم الإسلامي» و يعد الجاحظ من أكثر المتأثرين بالمنطق اليوناني ويمكن القول ان علم الكلام تأثر بالفلسفة و المنطق تأثرا قويا فيما بعد فالمتكلمون المعتزلة ،أخذو من كتب الفلاسفة أراءهم. كما سبق أن ذكرناه ،حيث فسرت أيام المأمون فخلطوا مناهجنا بمناهج علم الكلام وقد ظلت هذه الصلة صفة لعلم الكلام يعالج من خلالها، المشاكل الاجتماعية والثقافية في المجتمع. ويحقق في ذلك نتائج هامة في المحافظة على الروح الدينية للحياة الإسلامية[3]حتى أن لولا علم الكلام لكان مصير العقيدة الإسلامية عرضة للانحرافات جمة، نظرا لشدة الهجوم والتحريض الذي وجهه إليها أصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهودية والمسيحية، وقد عثرنا بالفعل على كتب

[1]– عباس سليمان ، المرجع السابق، ص13.

[2]–حامد طاهر مدخل بدراسة الفلسفة الإسلامية، دط، هجر لطباعة و النشر، القاهرة م، ص37 .

[3]–أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط4، دار المعرفة الجامعية، 1980، ص112. أنظر عباس سليمان، المرجع السابق، ص17.

كتبها المسيحيون ،وضعت على طريقة السؤال والجواب. ويقول المؤلف فيها مثلا: إذا سالك المسلم على الثالوث، فقل له ما معنى الإسراء والمعراج.

و هكذا كان المسيحيون عند ظهور الإسلام يرتبون هجومهم على الدين الجديد في صورة حوار بينهم و بين شخص يقترضونه من[1] المسلمين، و يبدو أن هذا النسق في صورة حوار بينهم و بين شخص يقترضوه من المسلمين و يبدو أن هذا النسق من الكتابات الحوارية كان موجودا في الإسكندرية في العالم القديم لدى علماء الكلام المسيحي، من أمثال كليمنت و وأرجين، و لقد تصدى هؤلاء المدافعون من الدين المسيحي بالرد بعنف على أنصار له ديان المعاصرة لهم. مثل اليهودية والزرادشتية...إلخ[2].

وفي كلمة واحدة يمكننا أن نقرر مع ماكس مايرهوف، أن فضل الفرابي ينحصر في تأثر علم الكلام بالمنطق أرسطو تأثرا أكبر[3]من تأثير الكندي ،و المعتزلة فيا قبل الفارابي ،أضف الى ذلك المسائل الطبيعية التي أصبحت جزءا من علم الكلام (لم ينشأ البحث فيها إلا حينما انتشرت الفلسفة اليونانية في المحيط الثقافي الإسلامي من قبل الفلاسفة الإسلامين بخاصة الفارابي ،فحينئذ أصبح علماء الكلام يبحثون في المسائل الطبيعية لاستخدامها،

مقدمات في إثبات العقيدة رادا على المقولات الفلسفة اليونانية المخالفة للعقيدة الإسلامية و يمكن القول أن تأثير الفارابي في العالم الإسلامي، امتد الى معاصيره من الفلاسفة و بعد عصره الى زمان ابن سينا (ت458هـ-1037م)ليعم تأثير هذ الأخير مناهج البحث الفلسفي.

و الواقع أن علم الكلام بتأثير بالفلسفة اليونانية وانتشار مقولاتها في العالم الإسلامي استطاع أن يتطور، فأدخل في دائرة اهتماماته المسائل الفلسفية و الطبيعية مثل: قضايا العلة و المعلول، و الجوهر والعرض، و الجوهر الفرد و أمثالها، و استخدمها مقدمات في الاستدلال على العقيدة الاسلامية ورد الشبه الواردة عليها منذ أبي الهذيل العلاف سنة (235هـ)[4].

[1]- أبو ريان، ، المرجع السابق، صفحة 18.

[2]-محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الإسلامية، ط1، دار العلم للملاين، بيروت، 1982م، ص15.

[3]-حسن حنفي، دراسات إسلامية، ط1،دار التنوير، بيروت، 1982، ص ص100-102.

[4]-عباس سليمان ،المرجع السابق، ص19.

كذلك أن الجويني تأثر بابن سينا و أخذ بطريقة الاستدلال على وجود الله، معتقدة على فكرتين هما: الوجوب و الإمكان يدل الطريقة الطبيعية كما رفض الجويني تحت تأثير الفلسفة مبدأ الباقلاني (بطلان الدليل يؤدي ببطلان المدلول) ذلك المبدأ الذي قيد المتكلمين من الاستفادة من المسلمين. وقد أكد الجويني بأن (بطلان الدليل لا يؤذن ببطلان المدلول) و قد ثم أفسح المجال الآراء الفلسفية التي انتشرت في عهده على أيدي ابن سينا و تلاميذه و هذ بذلك الطريقة المتأخرين التي خلطت بين علم الكلام و الفلسفة[1].

3- تأثير الفلسفة في علم الكلام:

بعد استخدام علماء الكلام للفلسفة وتمازج هذين العلمين تولدت نتائجا مهمة نخلص إليها هنا أن المنهج الأصولي لا يصبح هو المنهج الذي ينتهجه علماء الكلام بل تدخل الفلسفة بمنهجها لتعطي علم الكلام "المنهج الفلسفي" و هذا يعني أن علم الكلام أصبح أكثر تسامحا الفلسفة ،لأن المنطق*، الجديد المستخدم في علم الكلام هو نفسه منطق أرسطو الذي درسه و دافع عنه هؤلاء الفلاسفة أمثال الفارابي و ابن سينا[2]،كما كانت هناك أرضية مشتركة ظاهرة للمناقشة بين الفلسفة و علم الكلام، و قبول علم الكلام للأفكار الطبيعية و الميتافيزيقية للفلاسفة ومن ثم تكونت طريقة المتكلمين المتأخرين الذين انتهوا الى ما في المنهج الأصولي عن ضعف فلجأوا ابتداء من أواسط القرن الخامس الهجري ،الى الاستعانة بالمنطق الأرسطي بحيث يعد من تاريخ الفكر الإسلامي فاصلا بين عهدين دقيقين عهد لم يلجأ المسلمون فيه الى مزج علومهم بالمنطق و الفلسفة اليونانية،[3]و عهد بدأ فيه المسلمون عملية المزج هذه، و خاصة في نطاق المنطق و يكاد يجمع علماء المسلمين على أن هذه

[1]-عباس سليمان، المرجع السابق، ص16.

*- المنطق هو منطقا قديما جاء خاصة من الأصول الفقهية ،التي يعتمد عليها الفقه في سياقه ،و لم يظهر فيه القياس الأرسطي. أما في طريقة المتأخرين فهو القياس الذي يرجع استخدامه.(أنظر جورج شحاته قنواتي: فلسفة الفكر الديني، ترجمة صبحي الصالح، فريد جبر)، ط1، دار العلم الملايين، بيروت، 1967، ص129.

[2]-عباس سليمان، المرجع السابق، ص22.

[3]- المرجع نفسه، ص22.

الحركة الأخيرة قام بها الغزالي505هـ الا اننا نعد ابن حزم الأندلسي (456هـ) اول من ادخل المنطق، وساهم في تطور الفلسفة الاسلامية .

إن لدراسة المنطق في نظر ابن حزم قيمة خاصة، فنراه يقول: « ليعلم من قرأ كتابنا هذا أن منفعة هذه الكتب ليست في علم واحد فقط بل كل علم فمنفعتهما في كتاب الله عز وجل، وحديث نبيه صلى الله عليه و سلم و في الفيافي الحلال و الحرام و الواجب و المباح، من أعظم منفعة، وجملة ذلك في فهم الأشياء التي نص الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم، وما تحتوي عليها من المعاني التي تقع عليها الأحكام و ما يخرج عنها من المسميات، و انتسابها تحت الأحكام على حسب ذلك والألفاظ التي تختل عبارتها و تتفق معانيها، و ليعلم العالمون أن من لم بفهم هذا القدر، فقد بعد عن الفهم عن ربه تعالى و عن النبي صلى الله عليه و سلم، و لم يجز له أن يختار بين اثنين، لجهله بحدود الكلام و بناء بعضه على بعض، و تقديم المقدمات، و إنتاجها النتائج التي يقوم بها البرهان ، أو يميزها من المقدمات التي تصدق مرة و تكذب أخرى و لا ينبغي أن يعتبر بها»[1]

يعني هذا أن ابن حزم قد منح المنطق الصوري 1 دورا مهما في بناء العلوم الإسلامية، مخالفا بذلك الاتجاه العام لدى المسلمين في موقفهم العدائي من المنطق، و بمقتضى هذا الموقف يتسرب المنطق الى علم الكلام الإسلامي[2].

فبالرغم من أن الغزالي لا يصرح بوضوح عن اسم المنطق. ففي كتاب «مقاصد الفلاسفة» يصرح بذكر اسم المنطق بحرية تامة، و في هذا يقول الغزالي:« فإذا فائدة المنطق اقتناص العلم، و فائدة العلم حيازة السعادة الأبدية. فإذا صرح رجوع السعادة الى كمال النفس بالتركية و التحلية، صار المنطق لا محالة عظيم الفائدة»

وإذا كان الغزالي يستخدم المنطق في الفقه–كما سبق أن ذكرنا فهو الذي دعم علم الكلام بالمنطق الأرسطي، تلك الأداة الدقيقة الحادة فلم يكن الغزالي رجل منطق، إلا أنه مع ذلك كان واحدا من الذين أدخلوا المنطق منهجيا في علم الكلام.

[1]–عباس سليمان، المرجع السابق، ص18. أنظر سليمان داود ،نظرية القياس الأصولي، دط، دار الدعوة، الإسكندرية، 1984م، ص283.

[2]– المرجع نفسه، ص18.

إن علماء أصول الدين واصول الفقه تابعو ما دعا إليه الغزالي في كتبه العديدة ،المتقدمة في مزج المنطق الأرسطي بأصول الفقه و الكلام، فحل مكان أدلة النظر الإسلامية، و تغلغل المنطق الأرسطي في صميم المسائل الكلامية و الأصولية نفسها، ونشأت عن هذا حركة فكرية كانت شديدة الأثر في الفكر الإسلامي، حيث ذهب كثير من مفكري الأصوليين الى أن تعلم المنطق فرض كفاية على المسلمين.

وفي قول الغزالي: «إن من لا يحيط بالمنطق، فلا ثقة له بشيء من علومه»[1]، كما يقول ابن تيمية: «ولكن سبب ما وقع فيه أثناء عمره و غير ذلك، صار كثير من النظار يدخلون المنطق اليوناني في علومهم، حتى صار من يسلك طريق هؤلاء هذا المتأخرين بظن أنه لا طريق إلا هذا و أن ما أدعوه من "ألحد" والبرهان" هو أمر صحيح عند العقلاء»[2].

و من هنا، فإن المنطق الصوري هو المنهج الذي زاوله علماء الكلام، و توصلوا عن طريقه الى نتائج مهمة استفادوا منها، إضافة الى وضع أسس و ابتكار بعض المفاهيم، و صياغة بعض القضايا الكلامية.

فهناك خطا تطوريا، لوضع أسس و مفاهيم علم الكلام الفلسفي بدءا بالمعتزلة و الأشاعرة، ثم انتقل من خلال الغزالي، عبر محاولات و إضافات مهمة الى فخر الدين الرازي[*].

وكذا يعتبر ابن رشد من بين اهم الفلاسفة المسلمون اللذين ساعدوا على تطور علم الكلام الى الفلسفة الاسلامية :حيث يعد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشيد واحدا من أبرز عظماء

[1]-عباس سليمان، المرجع السابق، ص22-23. أنظر الغزالي، القسطاس المستقيم، تح رياض مصطفى العبد دار الحكمة، دمشق، بيروت، 1986م، ص35-80.

[2]-ابن تيمية ،الرد على المنطقين، ص198، أنظر السيوطي، صون المنطق و الكلام عن فن المنطق و الكلام، تح على سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ص286.

[*]- لقد أحدث الرازي تحولا كبيرا في تطور الفكر الكلامي. حيث اهتم بالفلسفة اهتماما كبيرا و درس المنطق و الطبيعيات و ما بعد الطبيعة. و قد تأثر الرازي بأفلاطون و أرسطو، و فلاسفة المسلمين المتأثرين بأرسطو أمثال الفرابي و محمد ابن زكريا الرازي وأخذ عنهم ابن أن الخالط فيه الرازي علم الكلام بالفلسفة و المنطق. أنظر علي محمد حسن العماري، الإمام فخر الدين الرازي حياته و أثاره، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية. القاهرة، 1969، ص17،

الفلاسفة المسلمين و أكثر هو شهرة، ولد في قرطبة عام 52هـ و نشأ و ترعرع في وسط أسرة من الفقهاء. فقد كان أبوه قاضيا، و كان جده قاضي قضاة الأندلس يتمتع بشهرة واسعة[1].

كتب ابن رشد كتب كثيرة في مجالات شتى فله مؤلفات في الفلسفة و الفلك و الطبيعة والفقه والأصول الكلام و اللغة و الأدب. كتب ابن رشد كتب في الفقه والأصول :كتاب التحصيل-بداية المجتهد و نهاية المقتصد[2].

درس ابن رشد علم الفقه المالكي والحديث واشتغل على الفقيه الحافظ أبي محمود بن رزق واستظهر كتاب الموطأ للإمام مالك على أبيه و أخذ يسير عن أبي القاسم بن بشكوال وأبي مروان بن مسرة، ودرس علم الكلام ثم درس الفلسفة[3].

وفي الأخير نستنتج بأن علم الكلام تطور و اختلط بالفلسفة حتى أصبح لا يمكن التفريق والتميز بين الفلسفة الإسلامية و علم الكلام و هذا نتيجة خلط الفلاسفة علم الكلام بالفلسفة ."تطور علم الكلام الى الفلسفة الإسلامية".

[1]-محمود حمدي زقزوق، مقدمة في الفلسفة، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص113. أنظر عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ، ط1، المؤسسة العربية لدراسة و النشر، بيروت، 1984، ص19.

[2]-رجاء أحمد علي، الفلسفة الإسلامية، ط1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، 2012، ص ص283-284.

[3]-عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص30.

الفصل الثالث: علم الكلام في عهد الموحدين

المبحث الأول: عقيدة ابن تومرت الكلامية

المبحث الثاني: الفكر الأشعري ومكانته في العهد الموحدي

المبحث الثالث: المتكلمون في العهد الموحدي

المبحث الأول: عقيدة ابن تومرت الكلامية

1- ابن تومرت:

لقد عرف ابن تومرت بشخصيته الورعة وحبه وشغفه واهتمامه بالعلم، حيث كان له أثر مباشر في تشكيل شخصيته والتأثير بآرائه وافكاره، حيث أن مكوثه في العواصم الإسلامية في كل من بغداد، كما سافر إلى الأندلس[1] ومنزل بقرطبة ودرس بها على يد القاضي أبي جعفر حمدين بن محمد*، وتوجه غلى تونس بحرا ونزل بالمهدية حيث درس بها على يد أبي عبد الله المازري، وتوجه إلى الديار المصرية وتلقى فيها دروسا جديدة، وأخذ العلم من الشيخ أبي بكر الطرطوشي** ولم يمكث طويلا بمصر، حتى فضل الذهاب إلى الحجاز لحج بيت الله الحرام أداء فريضة الحج، وتوجه من الحجاز إلى العراق، هناك مكث بها ما يزيد على عشر سنوات، وهذا ما مكنه من التبحر في مختلف العلوم ومنها علم الكلام وعقاد الاعتزال والأشاعرة وأخذ كل ما يخدم فكرته[2].

وبذلك عاد ابن تومرت إلى المغرب وهو مطلع على دراسات الأشاعرة والمعتزلة والشيعة والسنيين على مختلف مذاهبهم، فقد عاد من المشرق وهو ملما إماما كاملا بعلم الشريعة واصول الدين ومجيدل لرواية الحديث النبوي، متمكنا من علم الكلام وطرق الجدل، لذلك ما إن وطأت

---

[1]- الأندلس: هي جزيرة كبيرة ذات جهات ثلاثة مشكلة بذلك المثلث يحيط بها البحر من جهاتها الثلاثة وهي مقسومة في وسطها بجبال الشارات وتسمى اسبانيا، انظر: شهاب الدين أو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج2، مج1، ط1،دار مكتبة صادر، دت، ج1، ص ص 262-263.

* - ابن حمدين هو من علماء الاندلس اشتغل بالتدريس والفقه، انظر ابن الابار الحلة السيراء، تح مؤنس، دط، القاهرة، 1963، ص204.

** - أبو بكر الطرطوشي هو أبو بكر بن الوليد بن محمد بن خلفة بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي، ولد بثغر طرطوشة الأندلس سنة 450هـ، وكان من أكابر عصره، درس الفلسفة والفلك والرياضيات، وأدخل علم القراءات إلى مصر، أنظر: ابن فرحون دباجة المذهب لمعرفة أعيان المذهب، تح مأمون بن محي الدين الجنان، دار مراكش العلمية، ط1، بيروت، 1996، ص 371. المقري نفح الطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ص 55.

[2]- علي محمد الصلابي، دولة الموحدين (صفحات من التاريخ الاسلامي)، ص11.

قدماه لبلاد المغرب حتى بدأ في إلقاء دروسه على عامة الناس، وعرض أفكاره وعلمه الغزير بعدما كان متأثرا في ذلك بالمعتزلة والأشاعرة الذين يرون ضرورة رفع العامة إلى المراتب العلمية[1].

1-1- ابن تومرت والمعتزلة:

لقد تأثر ابن تومرت بالمعتزلة وأخذ عنهم بعض آرائهم فأخذ منهم إنكارهم للصفات أي إلصاق صفات إنسانية بذات الله، فهو عند ذكر الصفات الإلهية كيد الله وعين الله وجلوس الباري على العرش يرى وهو متأثر بذلك بالمعتزلة وضرورة تأويل هذه الصفات بما يتلاءم والتجرد الذي تتصف به الذات الإله[2].

وتأثر ابن تومرت بآرائهم حيث قال ببعض آرائهم كقوله سمي مرتكب الكبيرة بالفاسق ولم يسميه بالمؤمن أو الكافر وهذا قريب من مذهب المعتزلة.

وفي موافقتهم لنفي صفات عن الله سبحانه وتعالى حيث قال حينما تحدث عن صفات الله "واشتغلوا بتعليم التوحيد فإن أساس دينكم حتى تنفذ عن الخالق تشبيه والشريك والنقائص والآفاق، الحدود والجهات ولا تجعلوه سبحانه في مكان ولا في جهة فإنه تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسم، ومن جسمنه فقد جعله مخله ومن جعله مخلوقا فهو كعابد وثن" فلقد تبنى ابن تومرت مذهب المعتزلة في الصفات، حيث نفي كل ما عساه أن يوهم تشبيه والمثلية لله سبحانه حتى ولو كان ذلك من السماء والصفات الثابتة لله في الكتائب والسنة، ولهذا سمي أصحابه بالموحدين لأنه في رأيه هم الذين يوحدون الله لنفيهم الصفات عن الله سبحانه وتعالى[3].

فالموحدون استعملوا القوة في فرض عقائدهم المختلفة واقتدوا بالمعتزلة في زمن المأمون العباس بفرضهم على الناس عقائدهم تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4].

---

[1]- مراجع عقلية العناي، المرجع السابق، ص 199.

[2]- المرجع نفسه، ص 202.

[3]- علي محمد الصلابي، دولة الموحدين (صفحات من التاريخ الاسلامي)، ص ص 48 49.

[4]- المرجع نفسه، ص51.

أ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ أساسي في الدين الإسلامي، كان هذا مبدأ ابن تومرت، فكان داعيا للخير آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وهو يهدف من وراء ذلك كله ضمان سلامة المجتمع ورقيه، وذلك بضمان سلامة العلاقات بين الأفراد والجماعات، ولقد أشار القرآن الكريم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[4].

وهذا فقد جاءت الأحاديث النبوية في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي"[5] ويقول أيضا: "لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيله حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له". وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعرف ونهاه عن المنكر، فقتله على ذلك، فذلك الشهيد مزلته في الجنة بين حمزة وجعفر".

[1]- سورة آل عمران، الآيتين: 113- 114.

[2]- سورة التوبة، الآية:71.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 110.

[4]- سورة البقرة، الآية: 251.

[5]- مراجع عقيلة العنابي، المرجع السابق، ص 143

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يقوم به المسلم تجاه كل مسلم، وكل جماعة تجاه الجماعات الأخرى، وفي الإسلام ليس فرضا أن يكون كل مسلما داعيا للمعروف ناهيا عن المنكر ولكن إذا توفر في المجتمع صلح هذا الأخير[1].

جعل ابن تومرت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم عقائده وبها استطاع تهذيب أخلاق اتباعه وعلمهم النظام والطاعة واحترام صغيرهم لكبريهم ومحبة الوالدين، والجاد في سبيل الله والتضحية بالنفس والمال في سبيل الخلق حسب رأيهم، وكذلك اوجد حيلا من أنصاره يستطيع به أن يحقق أهدافه، فقد تفانوا في خدمته فلما استوثق من إخلاص أتباعه اتخذ منهم دعاة يتشاركون معه في القيام بالأمر المعروف والنهي عن المنكر[2].

لقد انتحل ابن تومرت صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت مبكر وذلك عندما كان بمكة بعد عودته من العراق بحيث استغل تجمع المسلمين بها فأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[3].

بحيث كان يهدف من وراء إظهاره للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيق غرضه الأول هو لفت أنظار الناس إليه من البلاد التي مر بها حتى يعد من المصلحين، أما الثاني فهو تكوين بعض الخلايا السرية في تلك البلاد من الأفراد الذين يعجبون بمنهجه وذلك ليكونوا دعاة إلى أفكاره ومبادئه[4].

فإن جرأة ابن تومرت في الكلام وتظاهره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت من العوامل القوية لنجاح دعوته.

وذلك أنه اجتهد في محاربة المنكرات التي انتشرت بين عوام الناس بكل ما يملك من قوة، ووجه سهامه نحو الفقهاء والعلماء للتقليل من هيبتهم وإضعافهم ليتسنى له أن ينشر عقيدته ويؤصل ما يريد من الأحكام والأقوال على النهج الذي يخدم أهدافه[5].

---

[1]- مراجع عقيلة العناي، المرجع نفسه، ص ص 143- 146.

[2]- خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ المغرب العربي، دار مار، ص 286.

[3]- علي محمد الصلابي دولة الموحدين (صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي) ، المرجع السابق، ص 29.

[4]- المرجع نفسه، ص 30.

[5]- المرجع نفسه، ص 71.

ومن أهم الأمور التي ركز عليها ابن تومرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركان مركزا على عيبين أخلاقيين يبدو أنهما كانا متفشيين بالمغرب: اختلاط الرجال بالنساء، معاقرة الخمر وما يصاحبها من اللهو والطرب، ففي تلمسان وجد زقافا فيه أصناف من اللهو فنهى عن ذلك وكسر الدفوف. وفي وجدة أمر بأن تصنع ساقية عند الجامع يتوضأ منها المصلون عوض الاختلاط بالنساء في الساقية العامة، وفي دشر قلال نهى عن الاختلاط فوجد إعراضا وتهديدا فانصرف.

وفي فاس أمر سبعة من رفاقه بإحضار عصي ثم أمرهم بالتفرق على الحوانيت المملوءة دفوفا وقراقر وعيدانا وروطا وكسرا وتحطيم ما وجد بها[1].

ب– التوحيد:

حقيقة التوحيد كانت هي الأساس في الفكر العقدي عند المهدي بن تومرت، كما أنها الأساس في حركته الثورية حتى أنه أصبح يطلق التوحيد على مجمل العقيدة الصحيحة كما تصورها ودعا إليها وأصبح يطلق على اتباعه والمنظمين اسم الموحدين[2].

فكان من الطبيعي أن يتخذ ابن تومرت شعارا براقا لجماعته وهو شعار التوحيد وذلك مقابل شعار التجسيم الذي رمي به خصومه، ويرى جولد سيهر أن ابن تومرت قد أخذ هذا الشعار من المعتزلة وهم الذين يطلقون اسم التوحيد على فكرة الله والمعتزلة بحيث اتفقوا على نفي رؤية الله بالأبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه ومكانا وصورة وجسما وتحييرا وانتقالا وزوالا وتغييرا وتأثرا وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيد[3].

إذ اتخذ ابن تومرت في مسلكه هذا مبرران أساسيان الأول في قيمة التوحيد في العقيدة الإسلامية فهو أساس الدين والمحو الذي تدور حوله سائر حقائقه ومنه تستمد قوامها وإليه ترجع كلها بوجه أو بآخر وقد جاء القرآن الكريم منبها إلى حقيقة التوحيد داعيا إلى الأمام بها والعمل بمقتضاها

[1]– عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت (حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية واثره بالمغرب)، ص 77.

[2]– المرجع نفسه، ص 202.

[3]– مراجع عقلية العناي، المرجع السابق، ص 203.

أكثر مما جاء منبها إلى الوجود الإلهي نفسه، ذلك لأن الانحراف العقدي الذي يصيب الخلق إنما يصيب فيهم إيمانهم بالتوحيد فيقعون في أنواع الشرك أكثر مما يصيب فيهم إيمانهم بالوجود الإلهي[1].

أما المبرر الثاني في أن اعتقاد المرابطين وأهل السوس خاصة لم يكن يستجيب لحقيقة التوحيد الصحيح، وإذا كان العلماء المتعلمون من هؤلاء يؤمنون بتوحيد الله بالآيات على ظاهرها دون تأويل ولكن مع تفويض فإن العامة من الناس ربما غطت أفهامهم في هذا المجال حتى خالطها تجسيم وتشبيه، لذلك كان الحجم الذي احتله التوحيد في تفكير المهدي وحركته انعكاسا لتلك المكانة التي تبوأها ورد فعل على هذا الواقع العقدي في البيئة التي كانت موطن لدعوته، فانطلق يعلن في تأليفه وخطبه أن التوحيد هو أساس الدين الذي بني عليه وأن فروعه إنما تثبت بعد العلم بثبوته، وجعل يرد على مستمعيه هو أساس الأديان جميعا، فهو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين وأن دين الأنبياء واحد[2].

وبناء على قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[3]، كما جعل ابن تومرت للتوحيد بعدين أحدهما تصوري يقوم على التصور لوحدانية الله على فكرة أساسية وهي التنزيه المطلق لله تعالى عن المثلية.

وبعد آخر وهو بعد عملي إذ يرى فيه أنه لا يتحقق الإمام بالتوحيد على الوجه الأكمل عند المهدي إلا حينما يقع بمقتضى حقيقته التصورية ولذلك فإنه أطلق على من اتبع دعوته وانظم إليه وعمل بمقتضى أوامره باسم الموحدين[4].

ج- العناية بعلم الأصول:

عاد ابن تومرت إلى المغرب، وكان قد درس علم أصول الدين كان من الطبيعي أن يصطدم بفقهاء المغرب الذين اهتموا بدراسة علم الفروع وتركوا أصول الدين بدون نظر ودراسة مكتفين بما

---

[1]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت (حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية واثره بالمغرب)، المرجع السابق، ص ص 203 206.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 204 206.

[3]- سورة الأنبياء، الآية: 25.

[4]- عبد المجيد النجار، المرجع نفسه، ص ص 205 206.

وصلهم من أحكام أصبحت لا تتماشى والفترة التاريخية التي يعيشونها لذلك اصطدم بهم ابن تومرت ونادى لضرورة دراسة علم الأصول[1]، ولكن بالرجوع إلى القرآن والحديث النبوي الشريف وإجماع صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ويرجع إلى قول مستخرج، ولا يعتبر اجتهاد مرجع من مراجع الشريعة، وهذا من خلال المناظرات التي كان يلقيها[2]، فهو يقول: "إذ الشريعة وفروعها منحصرة. وانحصار أصولها في عشرة وهي أمر الله ونهيه وخبره بمعنى الأمر وخبره بمعنى النهي وفعله وإقراره وانحصار فروعها، وهي الأحكام في خمسة وهي الواجب والمندوب والمحظور والمكروه والمباح. فلا يخرج فرع عن هذه الخمسة ولا يخرج أصل عن تلك العشرة، فإن قال لهم قائل لما حصرتم الشريعة في هذه العشرة وتركتم الإجماع والقياس وهما أصلان في الشريعة فيقال أنهما داخلان فيما قدمناه ومتضمنان فيما عددناه، وذلك ان الإجماع داخل تحت الأمر[3] وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[4]، وقد تقدم الكلام في أولي الأمر، أما القياس هو على ضربين العقلي والشرعي.

1-2- العصمة والمهدية:

أ- المهدية: ادعى المهدي "المهدي بن تومرت" وقال أنه هو المهدي الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بخروجه في آخر الزمان[5]، بحيث كان المهدي يشرح للتلاميذ مبدأه هذا، ويبعث رسله ودعاته لإذاعتها بين القبائل وتؤيده كذلك رسالة أشار إليها ابن القطان قال إنها وجهت من المهدي في آخر شهر رمضان سنة 511هـ إلى القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي وفيها يقول بعد البسملة "وأنا محمد بن عبد الله بن تومرت وأنا المهدي في آخر الزمان"، وما تردده بعض التراجم أن ابن تومرت قد اطلع في بعض كتب الحفر والملاحم السحرية على ما ورد فيها بشأن قدره ومصيره وأنه

[1]- مراجع عقيلة العناي، المرجع السابق، ص 200.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 171.

[3]- مراجع عقلية العناي، المرجع نفسه، ص 201.

[4]- سورة البقرة، الآية: 59.

[5]- علي محمد لصلابي ،دولة الموحدين(صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي)، المرجع السابق، ص 45.

وقف منها على العلامات والشواهد الخاصة التي يتميز بها المهدي المنتظر وهي علامات كانت كلها متوفرة فيه[1].

ب– العصمة: وقوله بالعصمة التي هي من مبادئ التشيع التي تضمنتها العقيدة الموحدية، فالإمام المهدي معصوم من الخطأ يتصرف بإلهام من الخالق، ومن هنا قربوا الإمامة من النبوة (بعدها في الدرجة). وبالغ ابن تومرت في التأكيد على هذا المبدأ ردا للمنافسين له، أو المنتقدين لسياسته، تأكيدا لهم بأنه لا يخطئ، ولذا لا مجال لمخالفته.

ورغم ورود العصمة عشر مرات فقط، فإن تناول الشعراء كان متنوعا، فقد تناولوا الجانب النظري، أي تأييد الله للإمام من بالعصمة من الخطر كما عند ابن حربون:

لما اجتباه لنصر الدين أبده بعصمة أمنته مدحض الزلل[2]

وحاولوا التطرق للجوانب العلمية للعصمة: كالانتصار الدائم في الحروب فهو حتمي ما دام المخطط والمهيء له معصوم من الخطأ، بهذا تكررت العبارات: فقد وجب النصر عند ابن حبوس "إن الفتح محتوم"، وتعرضت العصمة كالمهدوية لانتقاد المنصور واستنكار المأمون[3]، إن عقيدة العصمة والمهدية التي درسها ابن تومرت في أصحابه سهلت له القضاء على خصومه ودفع قبائل المصامدة ومن حالفها إلى مقاتلة المرابطين[4].

1–3– انكار التجسيم وتكفير أصحابه:

اتهم ابن تومرت حكومة المرابطين بالتجسيم، ذلك لأنها مالكية والمالكيون لا يؤولون المتشابه، وإنما يأخذون بظاهره، ولذلك اتهمهم بالكفر لأن الدولة ورعاياها يشبهون الله بالصفات المجسمة. والحقيقة أن ابن تومرت استغل نقطة الضعف لدولة المرابطين ومبدأ تسمية ابن تومرت للمرابطين باسم المجسمين[5]. قائلا: "فسار بنا المعصوم حتى وصلنا إليه، فقال للموحدين ما يقولون بعد ان سمع

[1]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 172.

[2]– حسن جلاب، الدولة الموحدين وأثر العقيدة في الأدب، ط3، المطبعة الورقية الوطنية، مراكش، 1995، ص 81.

[3]– المرجع نفسه، ص 81.

[4]– علي محمد الصلابي، دولة الموحدين (صفحات من التاريخ الاسلامي) ، المرجع السابق، ص 48.

[5]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 188.

منهم كلاما من عندهم، قالوا له: لقبونا. قال وكيف لقبوكم: قال يقولون خوارج. قال: سبقونا بالقبيح لو كان خيرا أحجموا عنه وما سبقونا إليه لقبوهم أنتم فإن الله ذكر في كتابه: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ**﴾[1]، وهذا النص يدل على تلقيب ابن تومرت للمرابطين باسم المجسمين قد جاء في وقت متأخر وردا على اتهام المرابطين للموحدين بأنهم خوارج، غير أن ابن تومرت قد رماهم بهذه الصفة وهو متخذ لها أساسا مذهبيا راميا من ورائها إلى إظهارهم في أعين الموحدين وأعين عامة المسلمين بأنهم كفرة يشبهون الله بالصفات البشرية. ولذلك نادى بوجوب قتالهم ليس فقط على الموحدين بل على المسلمين جميعا مقاتلتهم ومن يقاتلهم ويخرج عن طاعتهم فهو كافر مثلهم وكانت مقاتلة قبائل الموحدين للمرابطين في سبيل مبدأ ديني، دفع في نفوسهم الحمية الدينية والحماس الفائق لأنهم يقاتلون كفرة مجسمة وأن الموت في قتالهم شهادة ترفع إلى الجنة، وأن اغتنام اموالهم وأراضيهم وحريمهم حلال يبيحه الشرع.

وهكذا استطاع ابن تومرت أن يرمي خصومه المرابطين رمية أصابتهم في المقتل، فقد أظهرهم بمظهر الكفرة والواجب قتالهم واضطر رعيتهم إلى التخلي عنهم[2].

1-4- التصوف عند ابن تومرت:

كان ابن تومرت ذا طموح سياسي ففكرة تأسيسه لدولة كانت متبلورة في ذهنه منذ كان في المشرق وقبل مجيئه، ولعل أبرز دليل على ذلك هو قيامه بنشر دعايته الواسعة لها منذ نزوله ببلاد المغرب، وبحثه المتواصل عن مريدين أكفاء يمكنه الاعتماد عليهم في حركته[3].

تميز ابن تومرت بالتدين الشديد البالغ حد التصوف فيقول ابن خليكان "وكان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشنا مخولقا، بساما في وجوه الناس، مقبلا على العبادة، لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة، وكان شجاعا فصيحا في لسان العرب والمغرب، شديد الإنكار على الناس فيما يخالف

[1]- سورة البقرة، الآية: 193.

[2]- مراجعى عقيلة الغناي، المرجع السابق، ص ص 202 203.

[3]- المرجع نفسه، ص 165.

الشرع لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره، وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متحملا للأذى من الناس بسببه"[1].

ومن هنا يتضح لنا أن ابن تومرت كان من المتصوفة المتدينين ذا أخلاق يتميز بالشجاعة، وهذا ما أكد عليه عبد الواحد المراكشي قائلا: "كان قد وضع له في النفوس هيبة وفي الصدور عظمة، فلا يراه أحد إلا هابه وعظم أمره"[2].

أما لفي بروفنسال فيصفه قائلا: "شخصية تستهوي من حولها إلى أقصى حد، ونفس بسيطة ومعقدة في آن واحد وطالما أنه سياسي بلغ الغاية في الإخلاص، مؤمن برسالته إمانا يفضي به إلى الرغبة في أن يحققها بقوة ضاربة، قالوا خائن كذاب وكان في الإمكان بالاتهام بالجنون والدروشة والشطحات الصوفية، ولكنه لم يتهم قط في ذكائه"[3].

المبحث الثاني: الفكر الأشعري ومكانته في العهد الموحدي

1- الأشعرية ودخولها المغرب:

لقد كان المغرب الإسلامي بموقعه الجغرافي يمثل أرض خصبة في تسرب المذاهب والفرق الإسلامية التي ساهمت في قيام نهضة فكرية وتنشيط الحركة العلمية، ومن بين هذه المذاهب المذهب الأشعري الذي عرف برواجه الكبير في بلاد المغرب بعدما كان أهل المغرب على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ومدلولها اللغوي مع التنزيه للخالق عز وجل وذاته العلية فظل الأمر حتى عهد المهدي بن تومرت ورجوعه من رحلته المشرقية، حيث عمل على تحويل الناس على مذهب السلف إلى المذهب الأشعري، ويعود تأخر المغرب في اعتناق الأشعرية مذهبا عاما في العقيدة طيلة قرنين من الزمن إلى عوامل أساسية والتي ترجع إلى قلة المعارضين للعقيدة السلفية

[1]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج4، ط1، مطبعة السعادة، نشر مكتبة النهضة المصرية، 1948م، ص ص 137 138.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 183.

[3]- ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مر لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة، مصر، 1941م، ص 138.

بالمغرب، هذا مقارنة بما كان عليه الأمر في المشرق، ومن بين التحديات المعارضة المستعملة للأدلة العقلية من أهم الدوافع إلى السلفيين للأشعرية إحكاما للحجة العقلية وما نشأ بالقيروان من الحوار[1].

كما اختلفت الآراء في دخول هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي، حيث تجمع بعضها على أن دخوله كان في القرن الرابع الهجري في حياه أبي الحسن الأشعري، ومنه من نفى ذلك، ويرى أن المذهب الأشعري دخل إلى المغرب على يد أتباعه وتلاميذه من بعده[2].

كما ان هناك من المؤرخين من يرجع ظهور الأشعرية في بلاد المغرب إلى فترة ظهور الباقلاني باعتباره رائد للمذهب الأشعري وراسيا للأشعرية فلقد كان على طريقة السلف في إثبات صفات الله تعالى وكان يناظر عنها عند المعتزلة والرافضة والقدرية، وكان يرد على الكرامية[3].

بالإضافة إلى هناك فريق آخر يذهب إلا أن وجود الأشعرية بالمغرب كانت قبل اوائل القرن السادس هجري، إذ قام بنشره مجموعة من تلامذة محمد بن الطيب الباقلاني المتأثرين بمسلكه الأشعري[4].

2- دور ابن تومرت في نشر الأشعرية:

يرى ابن خلدون ان المذهب الأشعري دخل بلاد المغرب في عهد الموحدين وذلك عن طريق المهدي ابن تومرت[5]، فقد دخل هذا المذهب بشكله المتكامل في بلاد المغرب الإسلامي عن طريق المهدي بن تومرت[6]، وذلك بعد عودته من الرحلة التي كانت في بداية المشرق الإسلامية بعدما اطلع على مختلف دراسات الأشاعرة وأخذ عنهم مذهبهم أي مذهب أبي الحسن الأشعري، حيث استطاع ان يستفيد منهم فأخذا علما عن جملة أئمة هذا المذهب أمثال أبي حامد الغزالي وعلى هذا الأساس تأثر بمذهبهم واستحسن طريقتهم في فهم العقائد والدفاع عنها بالحجج العقلية، وبعد عودته من المشرق سنة 510هـ ع رج على مختلف العواصم العلمية والسياسية، كطرابلس والمهدية وقسنطينة، وبجاية

[1]- عبد المجيد النجار، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، المرجع السابق، ص 430.

[2]- طارق عبد السلام لعجال، الفكر الأشعري والوحدة الفكرية في المغرب، seminar pemikiram islam peeimgtat université malaya kuala lumpur 20-22-7-2012.

[3]- إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 80.

[4]- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 432.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 302.

[6]- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص 62.

وتلمسان وفاس وغيرها، فحيثما ما حل جهر بدعوته آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر[1]، وداعيا الناس إلى التمسك بالمذهب الأشعري وسلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل ما خالفها، بل تكفيره، إذ سمي أتباعه بالموحدين تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد، ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق المذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا[2]، إذ يشير ابن خلدون في مقدمته يقول: "وانطوى هذا الإيمان راجعا إلى المغرب بحرا متفجر من العلم وشهابا متفقه في الدين وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الأب والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، والاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت، فبصر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد"[3].

وهكذا استطاع المذهب الأشعري أن يأخذ طريقه السيطرة المطلقة على بلاد المغرب في فترة الموحدين وذلك يعود إلى الجهود التي بذلها ابن تومرت وخلفاؤه من بعده وذلك خلال خطتهم التربوية الهادفة إلى الإقناع بالرؤى التي رسمها المهدي وجعلها اساس يجري عليه الناس تصوراتهم العقلية ويعوضون به ما كان سائدا من تصورات قد يخالطها أحيانا شيء من التشبيه والتجسيم، وكان هذا العمل منهم يعتبر ركنا اساسيا من أركان الدعوة الموحدية الهادفة إلى التغيير الشامل في الفكر والسياسة[4].

فالمهدي بن تومرت كان يقوم بنفسه بتدريس وشرح ما كتبه من مؤلفات للناس ثم تولاها بعده عبد المؤمن إذ اعتنى بها وقام بترتيبها وتدريسها في المجالس، بحيث أن عبد المؤمن قد أصدر مرسوما يأمر فيه عامة الناس بقراءة مؤلفات المهدي في العقيدة التي هي ذات صبغة أشعرية خالصة[5].

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص 03.

[2]- إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 6.

[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 304.

[4]- عبد المجيد النجار، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، المرجع السابق، ص 442.

[5]- المرجع نفسه، ص 443.

إذ كان جل ما يدعو إليه المهدي هو علم الاعتقاد على الطريقة الأشعرية، فهو لم يدع الأشعرية باستقلال إنما دعا على طريقتها جملة من الآراء كان جلها مرافقا لآراء الأشاعرة[1].

فإن ابن تومرت قد استعمل وسائل كثيرة لكسب الأنصار في دعوتهم الأشعرية، ومن الأسباب الأساسية التي ساهمت في انتشار هذه الدعوة والتي أتاحت بهذا الانتشار أن يكو على يده نذكر منها:

أ-هو التمهيد للأشعرية التي سبق لابن تومرت مما أنشأ في النفوس استعداد لتقبلها خاصة وأنها في حقيقتها ليست إلا لمذهب السلف في الاعتقاد، وأضيف إليه العنصر العقلي في الاحتجاج والتأويل، فلما كانت الأذهان عامرة بالأصل تقبلت هذا التطور بما سبق لها من الهد به طيلة ما يقارب القرنين.

ب-أما السبب الثاني فهو ما توفر للمهدي وخلفائه من سلطة سياسية استعملت في نشر آراء المهدي، ومن بينها آراء الأشعرية، ومما لا شك فيه أن السلطة السياسية تتوفر على وسائل نشر المادية والمعنوية مما يساعد على تبليغ هذه العقيدة في أسرع وقت وأوسع رقعة حتى كان لها الظهور والرسوخ[2].

أما المقريزي فيرى أن ابن توم رت قد تعلم المذهب الأشعري أثناء وجوده في بلاد العراق وأخذ بتعليم اصحابه فعلمهم المذهب الأشعري فكان ذلك سببا في انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب[3].

فالمهدي بن تومرت لم يكن يأخذ الناس لكافة الآراء الأشعرية وإنما بتلك التي اقتبساها من الأشاعرة فحسب، كما لا يوجد في مؤلفاته ولا أقواله ولا آثار خلفائه على الإعلان بإمامة الأشعرية بل كانت الدعوى إليها ضمنية في الدعوة إلى آرائه[4].

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، ج3، دط، دت، ص 251.

[2]- عبد المجيد النجار، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، المرجع السابق، ص 439.

[3]- علي محمد الصلابي، دولة الموحدين (صفحات من التاريخ الإسلامي)، المرجع السابق، ص 49.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 466 468.

وهكذا فكانت سياسة ابن تومرت في نشر مؤلفاته قد أخذت طريقها بين عامة الناس وتكونت بهذه المؤلفات مدرسة مغربية في أصول دين ذات صبغة أشعرية ونشط التدريس في هذا العلم والتأليف فيه بعدما كان مهجورا مقبحا مأمور في عهد المرابطين[1].

ومما سبق نستنتج أن انتشار الأشعرية لما بذله المهدي إذ أنه أصبح من أعلام مدرسة الأشاعرة لأنه قد فتح الباب في بلاد المغرب بدخول التأويل الكلامي وتأليفه للمرشدة التي كانت أهم رسالة مستقاة من مذهب الأشاعرة[2].

3- أثر عقيدة المرشدة في نشر الأشعرية:

لقد كانت لعقيدة المرشدة دور كبير بالمغرب، فإنها أهم شيء تضمنته عقيدة المهدي وهي رسالة المرشدة، إذ كان لهذه العقيدة اثر كبير لنشر الأشعرية بحيث انها اعتبرت من أهم مؤلفات المهدي بن تومرت التي كان لها الدور الكبير في إشاعة الأشعرية بين أهل المغرب، فقد كان لها الأثر البالغ في تحويل التصور العقدي المغربي، من تصور سلفي إلى تصور يقوم على التأويل إذ شاع ذكر هذه العقيدة بين عامة الناس وجرت بين الألسنة حفظا وشرحا، وصارت الخلاصة للتصور العقدي الذي تجري به الأذهان[3].

فعقيدة المرشدة قد بلغت أهمية كبيرة بين أهل المغرب باعتبارها رسالة محضة في العقيدة الأشعرية، إذ قام ابن تومرت بافتتاحها بقوله: "أرشدنا الله وإياك" ولذلك عرفت بالمرشدة، ولا نستبعد فكرة أنها سميت بهذا الاسم في عهد متأخر[4] فتداولها بين الناس ودعا إلى الحاجة الماسة لوجوب وضع علم تعرف به وهكذا استطاعت أن تكون لهذه العقيدة تحريرا بليغا بحيث أنها قد عرضت فيها المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى ذاتا وصفات، دون أن تعرض لشيء من السمعيات، أو شيء يتعلق

[1]- عبد المجيد النجار، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، المرجع السابق، ص 445.

[2]- محمد علي الصلابي، دولة الموحدين (صفحات من التاريخ الإسلامي)، المرجع السابق، ص63.

[3] - عبد المجيد النجار، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، المرجع السابق، ص: 447.

[4]- المغزاوي مصطفى، دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه من منتصف الق5هـ إلى بداية الق8هـ، رسالة الأكاديمية لنيل شهادة الماجيستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، 2007-2008م، ص: 15.

بالإمامة، فجاءت هذه المسائل مرتبة على النحو التالي في بدايتها وحدانية الله، ثم خالقيته المطلقة، وخضوع الخلائق له، وأزلية وجوده، وتنزيه وجوده وتنزيه عن المكان والزمان، وتنزيه عن الشبيه والمثيل، علمه المحيط بكل شيء، قدرته، ارادته، استغناءه وعزته، بقاءه، مشيئته المطلقة وعدله وفضله، سمعه وبصره[1].

فإن عقيدة المرشدة قد قام على شرحها مجموعة من المؤرخين ومن بينهم عبد الله محمد خليل السكوني الذي حاول من خلال شرحها تأكيد الفكر الأشعري في أذهان القارئين لهذا الشرح كما نجد محمد بن براهيم بن عباد التلمساني قد حاول من خلال كتاب الدرة المشيدة في شرح عقيدة المرشدة[2]

فعقيدة المرشدة ظهرت في جملتها وفي ظاهرها على منهج الأشاعرة ومقولاتهم هو ما هيأ لها القبول في نفوس الناس وجعل العلماء يقبلون عليها بالدرس والشرح، مطمئنين في صحتها وخلوها من الزيغ وهو ما عبر عنه الشيخ السنوسي أحد شراحها بقوله: اجتمعت الأئمة على صحة هذه العقيدة ولا غير وأنها مرشدة رشيدة ولم يترك المهدي أحسن منها وسيلة نفعنا اللعه وإياك بعقد عقيدتها الجميلة[3].

ومن خلال ما سبق نستنتج أن المرشدة كانت أول مابادر به المهدي في خطة الإصلاح العقدي التي كانت إحدى أسسه في إصلاح عامة الناس إذ أمر عبد المؤمن الناس بحفظها وفهمها وهذا ماكان له دور فعال في ذيوعها وانتشارها، فكثر حفظها وإقراءها في المساجد وكثرت الشروح عليها[4].

[1]- عبد المجيد النجار، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، المرجع السابق، ص: 448.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشر: عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ج1، ط1، طرابلس، د ت، ص ص 386 412، ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح: عبد الغني أبو الحزم، مؤسسة النشر، الرباط، ص: 13.

[3]- عبد المجيد النجار، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، المرجع السابق، ص: 449.

[4]- المرجع نفسه، ص: 450.

المبحث الثالث: أبرز المتكلمين في العهد الموحدي

لقد أخذ علم الكلام او علم التوحيد عند الموحدين حظه الكامل من الانتشار فقد كان ابن تومرت من اوجد زمانه في علم الكلام ويلزم اصحابه بدراسته الزاما وكان الموحدون على العموم يعتبرون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل وعلى طريقة الأشعري بالأخص يعتبرونه كافرا ليس معه من الاسلام إلا الاسم، ومن ثم سموا أنفسهم بالموحدين، وقد ترك ابن تومرت ميراثا كبيرا من الكتب في علم الكلام، منها: أعز ما يطلب، العقيدة المرشدة، الإمامة، تعاليق في الأصول[1].

1- أبرز المتكلمون في المغرب الأوسط:

أ-الفقيه التلمساني حسن بن ابي زكون (ت553هـ/1158م) له من التأليف كتاب في الرأي[2].

ب-أبو يعقوب الورجلاني (ت524هـ-1129م) الذي عني بالأصول وبالتأويل العقلي اكبر من عناية بالفروع وبظواهر النصوص وحرفيتها وفي هذا العصر عاش ابو يعقوب فكان من ائمة اصول الدين والف كتابا مهما "العدل والانصاف في معرفة اصول الفقه والاختلاف في الرد علي اهل الخلاف"[3].

ج-ومنهم ابو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي القرشي المعروف بالسلاجقي (ت564هـ 1168م) تتلمذ الاشبيلي كان بارعا في علم الكلام متصديا لتعليم عقيدة ابن تومرت وقد الف في ذلك كتابا سماه العقيدة الاسلامية انه كان يلقب بموقف اهل فاس من التجسيم ويمكن أن نقول في تعديل هذا التعبير المبالغ ما قاله الشيخ كنون: "إنه هو الذي على يده وقع تحول أهل فاس من المذهب السلفي في العقيدة إلى المذهب الأشعري تبعا للتيار العام الذي اكتسح المغرب بأكمله نتيجة لدعوة ابن تومرت"[4].

---

[1] - علي عشي، المغرب الاوسط في العهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ-1139 إلى 633هـ-1235هـ) مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط 2012م باتنة، ص 227.

[2] - المرجع نفسه، ص 228.

[3]- عمار طالبي الاتجاه الكلامي عند الاباضية بالمغرب الاسلامي "أبو يعقوب الورجلاني نموذجا" ندوات ومناظرات رقم 118 تحت عنوان الاتجاهات الكلامية في المغرب الاسلامي تنسيق علي الادريسي مطبعة النجاح الجديدة ط1 الدار البيضاء 2005 ص 102.

[4] - عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 445.

د- علي بن أحمد بن الحسن بن الحسن بن إبراهيم الحولي التجيني (637هـ/ 1239م) ما لا إلى النظريات وعلم الكلام، تكلم عن الكائنات وأمور الحدثان، وأسرى الحروف، ونعم استخراج وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج[1].

هـ- إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت611هـ/ 1215م) نزيل بتلمسان، كان فقيها حافظا للرأي مشاورا للرأي يشارك في الأدب وغلب عليه علم الكلام، ذاكر لحديث أهل التصوف، يطرز مجالسه بأخبارهم، فرأس فيه، واشتهر به، وله تأليفات منها: شرح الإرشاد لأبي المعالي إمام الحرمين "نكت الإرشاد في الاعتقاد". في خمس مجلدات وكتاب في مسائل إجماع الفقهاء[2].

و- محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625)/ 1227- 1128م) كان بصير بعلم الكلام وله كتب في هذا العلم منها "الفيصل الجازم في فضله العلم والعالم، وكتاب عقيدة عليه الخلق، وزبدة معرفة الحق المضمون بها على غير أهل الصدق" في جزء واحد وكتاب النكت المحررة والفصول المحيرة ونفي التشبيه في جزء، وكتاب "ميزان العمل وهو جزء كبير التسني عن الرؤية والتحلي بالرضا بقضاء باري البرية في جزء"[3].

2- أبرز المتكلمين في الأندلس:

أ- أبا الحسن علي بن محمد بن خليل الإشبيلي (ت567هـ/ 1171م) فقد تحدث عنه ابن صاحب الصلاة قائلا فيه أنه كان عالما فاضلا يتكلم في المجلس العالي مسترسلا بالمذاكرة متمهلا على حسن الأدب في المناظرة، فإذا خرج منه، تذاكر مع طلبة الحضر بما وعى من الخليفة من علم المهدي وبين لهم وبين لهم ما ناله من العلم النبوي، وذكر أنه من بين الذين درسوا عليه ووصف مشهدا من مجلسه العلمي قائلا: "لقيته بحضرة مراكش حرصها الله سنة ستين وخمسمائة، وسمعت عليه قراءة التوحيد، والعقيدة المباركة المسماة بالطهارة، وكتاب أعز ما

[1] - علي عشي، المرجع السابق، ص 230.

[2] - المرجع نفسه، ص 130.

[3] - المرجع نفسه، ص 230.

يطلق بقراءة الكاتب أبي عبد الله بن عميرة، وكان إذا قرأ المذكور فصلا مما ذكرته من العقائد شرح غامضها وفتح أقفالها على الطلبة[1].

ب- أبو علي عمر مالك المرساوي الذي قال فيه الغبريني أنه كان أعلم وقته بعلم الكلام، وكان محققا له محصلا لمعانيه كليا أو جزئيا، وكان أحفظ الناس بدقائق تفاصيله، وكان طريقه في ذلك كله على طريق الأقدمين مثل الجويني وأبي بكر الطيب الباقلاني[2].

ت- محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/ 1256م) الإشبيلي الأصل، كان مطلع على علم الكلام، حيث كتب: "الفصول في نبذة شافية من علم الأصول"[3].

[1] - عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 445.

[2] -المرجع نفسه، ص 446.

[3] - علي عشي، المرجع السابق، ص 230.

خاتمة

من خلال بحثنا حول موقف السلطة السياسية والهيئة العلمية من دخول علم الكلام إلى بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثالث إلى السادس هجري توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات كان من أهمها

- علم الكلام هو علم شأنه شأن سائر العلوم الاسلامية وهو يتضمن الحجاج على العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين وهو علم مثبت للعقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه.
- أما عن الفرق الكلامية فنجدها قد تنوعت من فرقة الى أخرى إذ كان أهم هذه الفرق المعتزلة.
- ظهور هذه الأخيرة في أوائل القرن الثاني وسلوكها منهجا عقليا متطرفا في بعث العقائد الاسلامية ومن أصول هذه الأخيرة التوحيد، ويقصد به إثبات وحدانية الله، المنزلة بين المنزلتين ومن بين أهم عقائد هذه الأخيرة نذكر العدل، الوغد والوعيد.
- ففرقة الأشاعرة تأسست من طرف أبي الحسن الأشعري، هذا الذي بدأ في تأسيس علم كلام جديد هادفا من وراءه الى الحد من سطو العقل، وكان من أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب الأشعري المساهمة الفعالة لتلاميذه.
- من أهم عقائد الأشاعرة تقديم العقل على النقل، وإثبات وجود الله عز وجل، عكس فرقتي القدرية والمرجئة، حيث قالت الأولى في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بخوض المسلمين في القضاء والقدر، أو أنهم نفاة للقدر حسب رأي بعض المؤرخين، في حين قالت الثانية تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة.
- أما عن انتقال علم الكلام من المشرق إلى المغرب الاسلامي فإنه يعود الى واصل بن عطاء الذي بعث أحد دعاته الى بلاد المغرب المدعو عبد الله بن الحارث الذي أفلح في جذب الكثير من البربر الى مذهبه، هذا الذي يعتبر أحد أهم العوامل التي ساعدت على انتقال ودخول هذا العلم الى بلاد المغرب الاسلامي.

- وبخصوص الصراع بين المعتزلة والمالكية فإننا نجد أهل السنة المالكية يؤمنون بأن علم الكلام هو علم دخيل على الاسلام، استمده أوائل المتكلمين من فلسفة اليونان، مما يبين لنا ذلك الكره الشديد الذي كان يكنه هؤلاء الفقهاء المالكيين للمعتزلة، بل وصل بهم الحال الى المعاملة العنيفة لكل من تبنى تلك الآراء بحيث وصل بهم الأمر الى المواجهة المباشرة، والمقاطعة السلبية، بالإضافة الى الجدل والمناظرة ومثال ذلك عبد الله بن فرحون الذي أعلن رأيه بصراحة وعنف ضد المعتزلة، ورماهم باللعنات، وأسد بن فرات الذي قاوم الاعتزال خاصة فيما يخص مسألة خلق القرآن فكانت هذه المسألة من أسباب الصراع بين المالكية والأحناف بحيث يجسد لنا هذا الصراع الامام سحنون حينما سئل في هذه المسألة فكان جوابه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال أنه مخلوق فهو كافر.
- غير أن في زمن الأغالبة اشتدت المواجهة بين فقهاء المالكية والمعتزلة من فقهاء الأحناف الذين كانوا مدعومين من قبل بعض أمراء الأغالبة، خاصة في مسألتي خلق القرآن والارجاء.
- وفيما يخص علاقة الاباضية بالمعتزلة فإننا نجد الطرفين قد توافقا في العديد من المسائل ولعل من أبرزها تقديم العقل على النقل، ونفي صفات الله عز وجل، ومسألة خلق القرآن، نفي رؤية الخالق، ورغم هذا فانهما اختلفا في البعض الآخر كمسألتي مرتكب الكبيرة ومسألة القضاء والقدر، بحيث ظهرت الغلبة في النهاية للإباضية وهذا من خلال المناظرات التي بينت عجز المعتزلي على عكس الإباضي.
- كما كان لفقهاء المالكية في دولة المرابطين موقف من علم الكلام، باعتبار هذه الأخيرة قامت على دوافع دينية مبنية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- حيث بلغت مكانة فقهاء المرابطين الشأن العظيم، حيث خصصت لهم مرتبات في تصريف شؤون الدولة، وهذا مكنهم من فرض النطاق الحديدي على الأفكار ومنعوا

الناس وأحرار المفكرين من الخوف في غير علم الفروع، وأمروا بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ومنعوا جميع الكتب التي تخوض في علم الكلام.

فالفقهاء المرابطين كانوا يقومون على حجر أفكار الناس ومحاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وعملوا على منع بقية المذاهب السنية تعصبا لمذهبهم، وهذا ما جعل المهدي بن تومرت يؤسس الدولة الموحدية ويحارب فقهاء المرابطين ويهاجمهم ويتهمهم بالجمود والكفر والتجسيم، وهذا مما أدى إلى العداء، حيث كفروه.

تميز علم الكلام في الأندلس بطغيان النزعة الفلسفية على المشتغلين به أو أنهم اهتموا بالخوض فيها، علما أنه في الأن وإفريقية كان الاشتغال بالفلسفة يعد من بين الأمور المذمومة والممقوتة، ومن بين الفلاسفة المتكلمين الذين ساعدوا على تطور علم الكلام إلى الفلسفة الإسلامية، نذكر ابن رشد، ابن طفيل.

لقد عرف ابن تومرت بشخصيته الورعة، وحبه وشفه واهتمامه بالعلم، حيث أخذ العلم عن أكبر علماء المشارقة كالغزالي والطرطوشي، وكان هذا الخير متبحرا في مختلف العلوم ومنها علم الكلام، لذلك لما عاد إلى المغرب كان مطلع على دراسات الأشعارة والمعتزلة والشيعة والسنيين على مختلف مذاهبهم.

ويعد المر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم عقائد ابن تومرت فكان داعيا للخير، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وبهذا استطاع تهذيب أخلاق أتباعه.

وأهم عقيدة عرف بها هذا الأخير هي التوحيد، إذ كان التوحيد هو الأساس في الفكر العقدي عند المهدي، وبه أصبح يطلق على أتباعه اسم الموحدين، فكان شعاره التوحيد على عكس شعار التجسيم الذي كان عليه خصومه من المرابطين، كما اتخذ ابن تومرت من المهدي عقيدة له فقال بأنه المهدي الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بخروجه في آخر الزمان. وأيضا قوله بالعصمة التي هي من مبادئ التشيع التي تضمنتها العقيدة الموحدية، فالإمام المهدي معصوم من الخطأ، حيث بالغ في تأكيده على هذا المبدأ.

اتهم ابن ت ومرت حكومة المرابطين بالتجسيم والكفر ذلك لأنها مالكية والمالكيون لا يؤولون المتشابه، وإنما يأخذون بظاهره، كان هذا الأخير ذا طموح سياسي، ففكرة تأسيس دولة كانت متبلورة في ذهنه منذ كان في المشرق.

تميز ابن تومرت بالتدين الشديد البالغ حد التصوف إلى جانب الشجاعة والفطنة والذكاء.

كمار عرف بلاد المغرب الإسلامي بموقعه الجغرافي الذي مكنه من أن يكون أرض خصبة لتواكب وتسرب المذاهب الفكري ومن بينها المذهب الأشعري الذي اختلف المؤرخون في فترة دخوله إلى المغرب، فهناك من أرجعه إلى القرن الرابع هجري وحتى نهايته وهناك من أرجعه إلى أوائل القرن السادس هجري، وهناك من أرجعه إلى المهدي باعتباره واضع الأسس الأولى في المغرب في حين هناك من أرجعه إلى فترة الباقلاني، ودعا المهدي بن تومرت إلى اعناق المذهب الأشعري، حيث كان يحمل الكثير من الأفكار على الطريقة الأشعرية، وإن لم تكن دعوة المهدي إلى هذه الأخيرة كمذهب مستقل وإنما هي دعوة كانت تتضمنها دعوته إلى مذهبه المتكامل في العقيدة.

كما اعتبرت عقيدة المرشدة أهم رسالة ساعدت في انتشار المذهب الأشعري، وسميت بالمرشدة لن افتتاحها بدأ "اعلم ارشدنا الله وإياك"، وهي رسالة محضة في العقيدة الأشعرية افتتحها ابن تومرت فأثرت في المغاربة ورسخت الفكر الأشعري فيهم.

ومن أبرز المتكلمين في المرب الإسلامي نذكر علي بن محمد الخليل الإشبيلي، أبو علي عمر بن ملك المرساوي وإبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة إلى جانب محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني إذ كان لهم صدى في المغرب الإسلامي وخاصة في العهد الموحدي.
وذلك من خلال تمكنهم من هذا العلم وشرحه ملتزمين الزاما في دراسته.

.

ŭΣƐʒǩŧp ʒYʞdžʒǩŧ ŋʒhʊʞā

قائمة المصادر والمراجع

1.قائمة المصادر

1. القرآن.

1. الأحاديث النبوية.

2. ابن الابار الحلة السيراء، تح مؤنس، دط، القاهرة، 1963.

3. ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح تع :محمد ناصر وابراهيم بحاز، دط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.

4. ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح عبد الغني أبو الحزم، مؤسسة النشر، الرباط.

5. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج4، ط1، مطبعة السعادة، نشر مكتبة النهضة المصرية، 1948م.

6. ابن منظور ابو الفضل محمد، بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت لبنان،1995.

7. أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وعبادهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، ج1، تح حسين مؤنس.

8. أبو حامد الغزالي بن محمد الغزالي، المنفذ من الضلال، تح: محمد إسماعيل حزين واخرون ، موقع الفلسفة الإسلامية،2002م.

9. أخبار الائمة الرستميين لابن الصغير، تح محمد ناصر، تع ابراهيم بحار ،د ط ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1926.

10. البغدادي، الفرق بين الفرق ،تح محمد محي الدين، د.ط، مكتبة العصرية،بيروت،1995.

11. التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، شرح عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ج1، ط1، طرابلس، د ت.

12. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرحال و النساء من العرب و المستعمرين، مكتبة نخانخي، القاهرة، ط2، 1990، ج5.

13. الشهرستاني، الملل و النحل، المجلد الأول،دط، دار المعرفة للطباعة و النشر ،بيروت ،لبنان.

14. عبد الجبار ابو الحسن بن احمد، شرح الاصول الخمسة ،تح عبد الكريم عثمان تع احمد بنو الحسن بن ابي هاشم، ط3،مكتبة وهيبة، القاهرة،1996.

15. عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط9، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

16. عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون.ج6.

17. عبد الله عبد الرحمان بن أحمد الإيجي ،المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت.

18. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، دط، ص236، طبعة المجلس الاعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963.

19. عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م.

20. الغزالي، القسطاس المستقيم، تح رياض مصطفى العبد دار الحكمة، دمشق، بيروت، 1986م.

21. الفرابي، إحصاء العلوم ،تحقيق عثمان أمين.

22. محمد بن عبد الكريم المخيلي التلمساني، مدونة الفقه التصوفي مناقب و أثار، ج 2، تح مقدم مبروك، نقد بوعبد الله غلام الله، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان.

23. مسعود بن عامر بن عبد الله سعد الدين التقتازاني، شرح المقاصد تح و تع عبد الرحمان عمير، نص: صالح موسى شرف، ج1، ط2، عالم الكتب، لبنان، 1419هـ/1998م.

24. مسعود مزهودي، جبل نفوسة من انتشار الاسلام حتى هجرة بين هلال الى بلاد المغرب، دط، مؤسسة تاولات الثقافية، دت.

25. المقري، نفح الطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.

2.قائمة المراجع

1. أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط4، دار المعرفة الجامعية، 1980.

2. إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب دخولها رجالها تطورها و مواقف الناس منها،ط1،دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2006.

3. ابن فرحون، دباجة المذهب لمعرفة أعيان المذهب، تح مأمون بن محي الدين الجنان، دار مراكش العلمية، ط1، بيروت، 1996.

4. أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1.

5. ألفريد بل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح لعريب حتى اليوم، تر عبد الرحمن بدوي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1969م.

6. جورج شحاته قنواتي، فلسفة الفكر الديني، ترجمة صبحي الصالح، فريد جبر)، ط1، دار العلم الملايين، بيروت، 1967.

7. السيوطي، صون المنطق و الكلام عن فن المنطق و الكلام، تح على سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت.

8. شهاب الدين أو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج2، مج1، ط1،دار مكتبة صادر، دت،ج1.

9. جوزيف فان ايس، نشأة علم الكلام في الإسلام، مجلة الأصالة، تأسست سنة 1971،العدد 25،ج1،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان، العدد 2011.

10. حامد طاهر مدخل بدراسة الفلسفة الإسلامية، دط، هجر لطباعة و النشر، القاهرةم.

11. حسن جلاب، الدولة الموحدين وأثر العقيدة في الأدب، ط3، المطبعة الورقية الوطنية، مراكش، 1995.

12. حسن حنفي، التراث و التجديد، ط1، دار التنوير، بيروت، 1982م.

13. حسن حنفي، دراسات إسلامية، ط1،دار التنوير، بيروت، 1982.

14. حسن حنفي، من العقيدة الى الثورة، مكتبة مدبولي، المجدل الأول، المقدمات النظرية.

15. حمودة غرابة، ابو الحسن الأشعري، د.ط، مجمع البحوث الاسلامية، القاهرة، مصر، 1973م.

16. خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ المغرب العربي، دار مار.

17. دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية: تح أبي بكر العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1988.

26. رجاء أحمد علي، الفلسفة الإسلامية، ط1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، 2012.

27. سعد رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البداية، ط1، الأوائل للنشر، دمشق، سوريا، 2004.

28. سليم دولة، ما الفلسفة ،ط1، دار الفرق، سورية ،دمشق، 2008.

29. سليمان داود ،نظرية القياس الأصولي، دط، دار الدعوة، الإسكندرية، 1984م.

30. السيد عبد العزيز سالم غانم، تاريخ المغرب الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دت.

31. طارق عبد السلام لعجال، الفكر الأشعري والوحدة الفكرية في المغرب، 2012.

32. عباس سليمان، تطور علم الكلام الى الفلسفة و منهجهما، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994.

33. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ، ط1، المؤسسة العربية لدراسة و النشر، بيروت، 1984.

34. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

35. عبد الستار عزالدين الراوي ،ثورة العقل دراسة فلسفية في فكر المعتزلة ،د.ط ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت .

36. عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية،ط1، دار سحنون، بيروت، لبنان،1429 هـ -2008م.

37. عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، ط1، دار الاندلس الخضراء، جدة، السعودية، 1421-2000م.

38. عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت (حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية واثره بالمغرب).

39. عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية واثره في المغرب،ط1،دار الغرب الاسلامي، 1983 .

40. عبد المجيد النجار، تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط2، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، 1995 .

41. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، ج3، دط، دت.

42. عدنان علي كرموش الفرابي، التوافق بين الأشعرية و السلف في العقيدة، الجامعة الإسلامية، د.ط، بغداد، العراق، (1428هـ، 2007).

43. علي شلف، الفعل الفلسفي في الإسلام، الفرق و الأحكام، دار الهدى للطباعة و النشر، بيروت، 1985.

44. علي عبد الفتاح المغربي ،الفرق الكلامية ،ط2،مكتبة وهبية القاهرة ،1995.

45. علي عشي، المغرب الاوسط في العهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ-1139 إلى 633هـ-1235هـ) مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط 2012م باتنة.

46. علي محمد الصلابي، دولة الموحدين (صفحات في التاريخ الاسلامي) ، دار البيارق للنشر ،عمان ،1998.

47. علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند المراطبين،ط1 ،مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 2006.

48. علي محمد حسن العماري، الإمام فخر الدين الرازي حياته و أثاره، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية. القاهرة، 1969.

49. عمار طالبي الاتجاه الكلامي عند الاباضية بالمغرب الاسلامي "أبو يعقوب الورجلاني نموذجا" ندوات ومناظرات رقم 118 تحت عنوان الاتجاهات الكلامية في المغرب الاسلامي تنسيق علي الادريسي مطبعة النجاح الجديدة ط1 الدار البيضاء 2005.

50. عمرو خليفة الناهي، دراسات في الاباضية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001.

51. قيس سالم المعايطة، فرق ومذاهب في تاريخ المسلمين، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، عمان، 2014م.

52. كارلو ألفونسو نيليلينو، الصلة بين مذهب المعتزلة والاباضية المقيمين في افريقيا الشمالية في التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، تر عبد الرحمان بدوي، د ط، كتب النهضة المصرية، مصر، ص 207 .

53. ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مر لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة، مصر، 1941م.

54. محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، د.ط، دار الفكر، القاهرة، د.ت.

55. محمد احمد الخطيب، مقاربة الاديان، ط2، دار المسيرة، عمان، الاردن ،2009 .

56. محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الإسلامية، ط1، دار العلم للملاين، بيروت، 1982م.

57. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990.

58. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرون، د. ط، دار الفكر، بيروت.

59. محمد منصور، الزاوي الحضارة الاسلامية بين تخريف أبناءها وتحريف أعدائها، دط، 1990، ص 38.

60. محمد عابد الجابري، المدرسة الفلسفية في المغرب و الأندلس (ضمن أعمال ندوة ابن رشد في المغرب الإسلامي)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت.

61. محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.

62. محمود حمدي زقزوق، مقدمة في الفلسفة، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003.

63. مراجع عقيلة العناي، قيام دولة الموحدين، ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، 2008.

64. المغزاوي مصطفى، دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه من منتصف الق5هـ إلى بداية الق8هـ، رسالة الأكاديمية لنيل شهادة الماجيستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، 2007-2008م .

65. ناصر عبد الكريم العقل، الخوارج أول الفرق في تاريخ ، ط1 ،دار اشبيلية للنشر والتوزيع ،الرياض، 1998.

66. نصر الدين الطويسي، تطور علم الكلام إلى الفلسفة و مناهجها.

67. يحي الهويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، دط، مكتبة النهضة بمصر، 1965.

68. يوسف بن أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية، جزء 2، ط1، مكتبه الملك فهد، مكة، سنة 2000م.

فهرست الموضوعات

تقدير وشكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ

مدخل 6

الفصل الأول: انتقال علم الكلام من المشرق إلى المغرب

المبحث الأول: عوامل انتقال علم الكلام من المشرق إلى المغرب 16

1- دخول المعتزلة إلى المغرب الاسلامي 16

2- دخول المرجئة إلى المغرب الاسلامي 17

3- دخول المذهب الاسماعيلي إلى المغرب الاسلامي 18

المبحث الثاني : الصراع بين المعتزلة والمالكية 19

1- أهل السنة المالكية وعلم الكلام..... 19

2- فقهاء المغرب الاسلامي وعلم الكلام..... 20

3- مسألة خلق القرآن 21

المبحث الثالث: علاقة الاباضية بالمعتزلة..... 25

1- علاقة التأثير والتأثر بين كل من المعتزلة والاباضية 25

2- موضوعات اختلاف المعتزلة والاباضية 27

3- الصراع بين الاباضية والمعتزلة في جبل نفوسة..... 28

الفصل الثاني: السلطة المرابطية وموقفها من علم الكلام

المبحث الأول: موقف فقهاء المرابطين من علم الكلام 31

1- دولة المرابطين..... 31

2- فقهاء المرابطين وعلم الكلام..... 33

3- المهدي بن تومرت وفقهاء المرابطين..... 35

المبحث الثاني: تطور علم الكلام في الأندلس الى الفلسفة الإسلامية 38

1- دور الأندلس في نشر علم الكلام..... 38

2- استخدام علماء الكلام للفلسفة 39

3- تأثير الفلسفة في علم الكلام 42

الفصل الثالث: علم الكلام في عهد الموحدين

المبحث الأول: عقيدة ابن تومرت الكلامية..... 47

1- ابن تومرت 47

1-1- ابن تومرت والمعتزلة 48

1-2- العصمة والمهدية..... 53

1-3- انكار التجسيم وتكفير أصحابه 54

1-4- التصوف عند ابن تومرت 55

المبحث الثاني: الفكر الأشعري ومكانته في العهد الموحدي 56

1- الأشعرية ودخولها المغرب 56

2- دور ابن تومرت في نشر الأشعرية 57

3- أثر عقيدة المرشدة في نشر الأشعرية 60

المبحث الثالث: أبرز المتكلمين في العهد الموحدي 62

1- أبرز المتكلمون في المغرب الأوسط 62

2- أبرز المتكلمين في الأندلس 63

خاتمة 66

قائمة المصادر والمراجع 71